

Francs : 5

فرنك : 5

المطبعة الجديدة نهج المامونية ـــ الرباط ـــ وكيل المجلة : ابو بكر زنيبر

Savon Cadum



كـــــــدوم

ان الصابون العادي كثيراً ما تكون فيه الاملاح « الكلين » بكثرة والادهان الفاسدة وغيرها من المواد المضرة التي تذهب قسما كبيراً من الرشح الزيتي الذي هو ضروري لليان الجلد وصحته .

والطريقة التي يمكن بها ان يعرف صفاء الصابون هو ان يجرب على اللسان فاذا احرق اللسان او قرصه فلان ذلك الصابون فيه الاملاح بكثرة فوق الحد ويكون من نتيجة استعمالها تقسية الجلد .

اما الصابون كدوم الذائعة شهرته في العالم اجمع فان صناعته جعلته تـام الصفاء سالما من هاته العيوب وخصائصه الصحية تقوي حيوية الجلد وترجع اليه الصحة وبهاءه الطبيعي .

ثم ان صابون كدوم يفوق غيره ايضاً من حيث الاقتصاد لانه يستعمل كله ويطول مرتين اكثر من الصوابين العادية.

Juillet 1934 Troisième Année — السنة الثالثة ربيع الثاني عام ١٣٥٣



MAJALLAT EL MAGHRIB

مديرها ورئيس تحريرها : محمد الصالح ميسة

تثقيفية عمرانية أدبية

Rédaction et Administration
Immeuble Mathias
Rue Jules-Poivre — RABAT

Publicité :
Agence de Casablanca : 137, Avenue Mers Sultan

الادارة والتحرير
ملك ماتياس — نهج جول بوافر — بالرباط
الاعلانات : فرع الدار البيضاء ١٣٧ شارع مرس سلطان تلفون 03.70

Prix de l'Abonnement pour l'année :

Maroc, Algérie, Tunisie, Syrie :	60 frs
France et Colonies :	100 -
Etranger :	120 -

الاشتراك عن سنة

المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ سوريا	٦٠ فرنكا
فرنسا ومستعمراتها	١٠٠
الممالك الاجنبية	١٢٠



فاس — مسجد القرويين



مراكش — منظر بداخل الباهية

هل البربر عرب ؟

وهل لغتهم لغة ضاد اخرى ؟

للاستاذ محمد سعيد الزاهري عضو جمعية العلماء المسلمين بالجزائر

قال الشيخ أبو القاسم : زارني ذات يوم مستشرق فرنسي كان ضابطاً في الجيش ثم أحيل على المعاش ، ولم يكد يستوي جالساً حتى قال : لقد أتيتك اليوم مستفهماً سائلا . فقلت حباً وكرامة ، ولكني أرجو من فضلك أن لا تسألني عما ليس به علم . قال سأسألك عن مسألة من مسائل التاريخ. قال فقلت : ومن قال لك انني من المؤرخين ؟ قال أنا سائلك عما تعلم ، وما أريد ان اشقَّ عليك . قلت سلْ . قال : ان المؤرخين العرب الذين بحثوا عن اصل البربر قد ذكروا كل مذهب ، ونقلوا كل قول في هذا الموضوع ، ثم عطفوا على ذلك كله بالنقد والتمحيص فنفوا ما نفوا واثبتوا ما اثبتوا ، ولكن مذهباً واحداً قد اهملوه ، فما تكلموا عنه ولا اشاروا اليه ، وهو مذهب الذين يروْن ان البربر هم من اصل «لاتيني» ، فهل تعلم لما ذا اهملوه ؟ وهل اهملوه متواطئين ؟ قلت : لعل ذلك لانه لا يزال حديث العهد ، وليس المؤرخون العرب هم الذين اهملوه وحدهم فقد اهمله من قبلهم المؤرخون من اليونان بل والمؤرخون من الرومان . قال : نعم ، هو مذهب — كما قلتَ — لا يزال حديث العهد ، لا يعدُّ من العمر الا بضع سنوات ، واذا كان هذا هو عذر المؤرخين القدماء من اليونان والرومان والعرب ، فما بال هؤلاء المؤرخين من العرب المعاصرين ؟ قلت هذا الرأي اقل ما يقال فيه أنه ما زال رأياً مفروضاً لم يقم عليه أدنى دليل يؤبه له من العلم والتاريخ ، فكل ما فعل اصحاب هذا الرأي هو انهم عمدوا الى النقوش والصور التي لا يزال بعض البربر الى الآن يضعونها على الاواني التي يتخذونها من الطين وهي صور ونقوش مصرية لا يشك في مصريتها احد من اهل العلم — فقالوا عنها انها تشبه من بعض الوجوه نقوشاً وصوراً وجدت في ايطاليا واذاً فهي «لاتينية» لا مصرية واذاً فهي دليل على أن البربر هم من اصل «لاتيني» .

... [1] فقال الضابط : انهم جاءوا بدليل آخر على هذه الدعوى ، وهو كلمات والفاظ بربرية وجدوا لها في «اللاتينية» ما يشابهها في اللفظ والمعنى . قال الشيخ فقلتُ : لقد سلك رِنْ Rinn المؤرخ الفرنسي نفس هذه الفلسفة اللفظية واعتمدها وحدها في معرفة اصول البربر ، فجعلهم اوزاعاً بين الامم والشعوب ، وانتهى الى انَّ اكثرهم هنود وآريون ، حتى زعم ان عرب بني هلال الذين جاءوا هذه البلاد هم ايضاً «طورانيون وآريون» ! ! فقال الضابط : ان هذه المشابهات اللفظية بين لغةٍ ولغةٍ لا يمكن ان توجد عفواً من غير ان تدل على شيء ، فكلمة «آرُوس» التي تعني في البربرية جبلا معيناً قريبة من كلمة «الروس» التي هي اسم روسيا ، وهذا التقارب بين اللفظتين يمكن ان يدل على ان بين البلدين نوعاً ما من التقارب المعنوي ، قلت : الكلمة البربرية هي «آوْرَاسْ» وليست «آرُوسْ» ، ومع ذلك فان بين «آوْرَاسْ» و«روسيا» صلةً اخرى ، قال : وما هي ؟ قلتُ ان العشائر البربرية التي تسكن هذا الجبل هي عشائر زراعية تعيش من زراعة الذرة ، ومن العجيب ان مزارعها واراضيها لا تزال مشاعة بين رجالها وابنائها يقسمونها بين من يحملون المساحي ، و«يتبعون المحاريث» وهم يتبعون في ذلك نظاماً قديماً توارثوه خلفاً عن سلف يشبه

(١) هنا حذفنا فقرة باتفاق مع الكاتب.

ان يكون نظاماً «شيوعياً» لانه لا يعترف بحق التملك لاحدٍ كائناً من كان ، ومع ان هذا «الوضع» يرجع الى عهدٍ بعيد جداً ، ومع انه آخذ في الزوال ، فانه لا يبعد ان يكون مقتبساً من الاوضاع الشيوعية الحاضرة التي تقوم اليوم في بلاد السوفييت ! ثم هو لا يبعد ايضاً ان يكون دليلا على ان البربر هم من «الروس» وليسوا من «اللاتين»!! فضحك الضابط ، وقال : دعنا من الهزل ، غير انه دهش لهذا الاتفاق الغريب ! قال الشيخ : ومضيت احدثه ، واقول : الرومان هم اول من اطلق كلمة «البربر» على هذا الجيل ، يذمونهم بهذا الاسم ، ويعنون به انهم همج متوحشون ، وما كانوا ليذموهم بهذا ، لو انهم كانوا يمتون اليهم بقرابة او نسب . فقال : والعرب ايضاً يذمونهم بهذا الاسم الذميم . قلت : كان ذلك بعد ما اشتهروا به وصار لهم علماً يعرفون به بين الشعوب ، على ان عامة هؤلاء العرب الذين لم يتأثروا بهذا الاسم الروماني لا يسمونهم « البربر » بل يسمونهم « الشلح » يمدحونهم بذلك ، ويعنون انهم اهل نجدة وشجاعة ، وانهم اولو قوة ، واولو بأس شديد ، وما كانوا ليمدحوهم بمثل هذا المدح لو لم يكونوا لهم ذوي رحم وأُولي قربى . قال : افتعتقد ان البربر عرب ؟ قلت : يكاد يجمع المؤرخون على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان : البتر والبرانس ، ويكادون يجمعون على ان البتر من ابناء برّ بن قيس بن عيلان بن مضر ، وان قبيلتي كتامة وصنهاجة (من قبائل البرانس) هما من عرب اليمن تركها افريقش (احد تبابعة اليمن) هنا في ليبيا هذه التي سميت باسمه « افريقيا » فيما بعد ، وذلك حينما رجع من غزوها . وروى ابن عبد البر عن بعض النسابة من البربر ان البتر والبرانس هما جميعاً لاب واحد هو النعمان بن حمير بن سبإٍ . ويرى المسعودي وغيره انهم اوزاع من اليمن وغسان ولخم وجذام وغيرهما من قبائل العرب . وقيل هم من العماليق . وقيل من العبر والفينيقيين وقيل من المصريين الا ان ابن خلدون يرى ان البربر كلهم من ولد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح ، ولا يستثني الا قبيلتيْ كتامة وصنهاجة الحميريتين . على ان ابن خلدون ليس له دليل على دعواه هذه الا ما حكاه من ان البربر لا يزالون يتسمون « الامازيغ » . وهذا لا يكفي في اثبات هذه الدعوى ، فقد تكون فئة « مازيغية » اندمجت في البربر فغلب عليهم اسمها . وقد انقرض اليوم هذا الاسم بالمرة . الا ان قبيلة بربرية صغيرة لا تزال الى الآن تسمي لغتها « تمازيغت » اي المازيغية » وليس من الحق ان نترك ما يراه جمهور المؤرخين من عروبة البربر . وما يقوله نسابة البربر انفسهم عن اصلهم العربي ، لكي نعتمد هذا القول الذي لا نجد عليه دليلا ، وان رآه ابن خلدون . وها انت ترى ان كثيراً من المؤرخين يروْن ان البربر عرب ، وانهم ينزلون من العروبة في صميمها ولست انا وحدي ارى هذا . قال الشيخ : فقال لي الضابط : الآن انحل المشكل . فقلت : واي مشكل ؟ قال الذي حار فيه اكثر الفرنجة الغربيين الذين كتبوا في تاريخ البربر . قلت وما الذي حاروا فيه ؟ قال : امتزاج العرب والبربر امتزاجاً شديداً حتى صاروا في مدّة قليلة أُمة واحدة متجانسة الاخلاق والعادات ، وهذا أمر عجب له كتاب الفرنجة اشدّ العجب ، وحاروا في تعليله ومعرفة اسبابه ، وقالوا انه لم يوجد له مثيل في التاريخ ، وها انت قد حللت المشكل ، وقلت ان العرب والبربر هما من عنصر واحد يجري في عروقهما دم واحد ، قال الشيخ فقلت : نعم ، والعرب حين توغلوا في هذه البلاد يفتحونها لم يضطر احد منهم ان يتخذ لنفسه ترجماناً بينه وبين البربر وهذا معناه ان اللغة البربرية لم

تكن يومئذ تزيد على انها لهجة عربية محرفة يفهمها العربي دون مشقة أو عناء وكان يومئذ أكثر اسماء الاعلام عند البربر عربياً ، وهذا « طارق بن زياد » القائد المشهور وفاتح الاندلس ، قد قال عنه التاريخ انه بربري ، وانه هو صاحب الخطبة المشهورة ، ولئن سمي «طارق» باسم عربي في أوائل الفتح الاسلامي ، فقد سمي ابوه قبل ذلك «زياداً» ! وأنا لا أشك في نسب طارق ، ولا في نسبة الخطبة اليه ، ولكن هذه الخطبة التي هي آية خالدة من آيات البيان العربي ، هي أيضاً تمثل « النفسية » العربية في اكرم صورها وأسمى معانيها . ومعنى ذلك ان «طارقاً» عربي بطبعه ومزاجه وعربية تلك النفس التي بين جنبيه ، وعرب قومه : هؤلاء الذين يسمونهم « البربر » أو « الامازيغ » .

على أن كل ما قيل في أصل البربر انما ينطبق على البربر قبل الاسلام ، أما هؤلاء البربر المسلمون فهم أصرح في العروبة من بربر الجاهلية الاولى . وهذه ناحية من نسب البربر غفل عنها المؤرخون فما عنوا بها ولا بحثوها ، وأنا أريد أن أعرض لها في هذا المقال ، فقد ذكر بعض المؤرخين الفرنجة ان البربر في منتصف القرن السادس للميلاد قد خسروا خمسة ملايين من الانفس في حروبهم مع الروم البزانطيين وذكر المؤرخون العرب أن البربر خسروا في حروبهم مع العرب ـ أيام الفتح الاسلامي ـ خلقاً كثيراً ، واذا أنت اضفت الى ذلك ما خسروه من قبل ومن بعد في الفتن والثورات ايقنت ان اكثرهم قد تلاشى ، ولم يبق منهم الا فلول وبقايا قد اعتصموا بقنن الجبال ولاذوا بالصحاري ، ثم حدثنا التاريخ ان موجات عظيمة من العرب قد غمرت بلاد البربر هذه في أوقات مختلفة ، وقد احصيت موجة واحدة من هذه الموجات العربية فاذا هي تربي على مليون نسمة ، وهي موجة بني هلال وحلفائهم الذين نقلهم الفاطميون في القرن الخامس الهجري من صعيد مصر ، وأرسلوهم نقمة على دولة الصنهاجيين الذين كانوا يومئذ ينصرون مذهب أهل السنة في هذه البلاد ، ويضطهدون مذهب الشيعة فيها ، وكانت المذاهب الدينية الاسلامية يومئذٍ بمنزلة الاحزاب السياسية اليوم ، يصطنعها اولو الامر لتمكين نفوذهم وتأييد ملكهم ويتخذها المتطلعون الى العروش والتيجان وسائل ومطايا الى انتزاع الحكم والسلطان .

وكان النزاع بين هذه المذاهب قاسياً عنيفاً في منتهى القسوة والعنف لا يتورّع فيه المتنازعون عن الاغتيال وسفك الدماء ، وكان لكل مذهب دعاة وزعماء قد انبثوا بين قبائل البربر ينشرون دعوته ، ويستعملون كل وسيلة من وسائل الاغراء والارهاب ليحملوا الناس على ان يعتنقوه طوعاً وكرها ، وكان العرب من هؤلاء الدعاة والزعماء «يتبربرون» استمالةً للبربر ، واخفاء لانفسهم ولغايتهم عن «الخلافة» القائمة يومئذٍ وتضليلاً لعيونها وارصادها وكانوا يكثرون التزوّج من النساء البربريات ، استكثاراً للحماة والخوّل والانصار ، وقد اصبح ابناؤهم بعد ذلك « بربراً » أقحاحاً ، وهؤلاء اهالي وادي مزاب في جنوب الجزائر يتكلمون اليوم اللهجة البربرية كلغة منزلية ، ولكنك اذا اطلعت على انسابهم وأصولهم وجدتهم كلهم من العرب الذين «تبربروا» لسببٍ من مثل ما أقول ، ويحدّثنا التاريخ ان الادارسة الطالبيين قد فرّوا الى البربر واندسوا بينهم هم ومن كانوا حولهم من الاشياع والاتباع والمريدين ، ثم صاروا بالفعل « بربراً » وذلك فراراً بانفسهم من سيف هادم دولتهم موسى بن ابي عافية ومن سيوف رجاله الذين أمعنوا فيهم تشريداً وقتلاً . وكذلك ما دالت دولة

الا و « تبربر » أكثر أشياعها وأنصارها ، وكلما قامت دولة الا واندسّ خصومها بين البربر ، واختفوا من الميدان . و « عملية التبربر » هذه هي عملية بسيطة جدًّا فما هي الا أن يقيم العربي بين البربر مدة من الزمن حتى يصبح منهم . وقد شاهدنا عرباً خلصاً افراداً وجماعات قد اضطرتهم مصالحهم الحيوية أو الحروب الاهلية الى الاقامة بين البربر فلم يكد يمضي عليهم زمن قليل حتى « تبربزوا » عن بكرة ابيهم . واخرى تدل على عروبة البربر ، وهي انهم يحبون العروبة ويميلون اليها كل الميل . وقد قرأنا تاريخ البربر ، ودرسنا حياتهم الحاضرة فما وجدنا في خاصتهم ولا في عامتهم أدنى أثر لهذه « الشعوبية » التي لم تكد تنجو من شرها امة من امم الاسلام الاخرى .

ولقد أسس البربر دولا كبرى في هذه البلاد ، واسسوا في بعض انحائها امارات صغرى ، ولكن لم تقم ولا واحدة منها على العصبية البربرية ، بل قامت كلها على دعوات دينية محضة لا أثر «للبربرية» فيها . وأكثر الاسر البربرية التي اسست هذه الدول والامارات ، قد ادعت لنفسها العروبة وادعت ان نسبها يتصل بآل البيت . فبنو عبد الواد ، وبنو زيان ، وبنو مرين ، والموحدون كلهم قد ادعوا انهم عرب ، وانهم من السلالة الهاشمية . أما محمد بن تومرت البربري فلم يكتف بادعاء العروبة وبالانتساب الى آل البيت النبوي الكريم ، بل زعم انه هو «المهدي المنتظر» ، وألفوا كتباً كثيرة في اثبات «شرف» هذه الاسر البربرية مثل «قلائد العقيان ، في شرف بني زيان » وغيره . وهذا ان لم يدل على أن هذه الاسر البربرية هي من السلالة الهاشمية فهو يدل على منزلة البربر في العروبة وعلى مكانة العروبة في انفسهم ، وانا لا أستبعد ان يكون هؤلاء عربا ، ولا ان يكونوا (هاشميين) .

ولو ان ابن خلدون نظر الى اللغة البربرية لكان له رأي آخر في اصل البربر ، واذن لوجد فيها ما يدله على عروبة البربر ، أو ما يدل في الاقل على اصلهم السامي . فهذه اللغة البربرية هي عربية لا في الفاظها ومفرداتها فقط ، بل ايضا من حيث تراكيبها وحروف المعاني فيها . ولا تزال تلازمها بعض خصائص اللغة السامية الاولى ، فضمير الغائب فيها مثلا هو حرف السين فهم يقولون (كتابس) أي كتابه أو كتابها ، ويقولون (معس) أي معه او معها ونحو ذلك ، وحرف العين لا يوجد في كلمة بربرية ، وكل كلمة فيها عين فهي عربية (مبربرة) أو أن هذا الحرف لا يوجد في كلمة بربرية الا في النادر القليل ، ولقد قالوا ان اللغة السامية الاولى يعبر فيها عن ضمير الغائب بحرف السين وانها لا (عين) في كلمة من كلماتها . ومخارج الحروف في البربرية هي عربية خالصة حتى انك لا تجد فيها حرفاً غير عربي . ومن العجب ان هذه اللغة هي ذات ضاد كالضاد العربية تماماً فالفعل المضارع المسند الى المخاطب يختم فيها دائماً بحرف ينطقه كثير من البربر ضاداً عربية فصيحة ، وهناك اسماء بربرية فيها هذه الضاد ، منها : (آضيل) : العنب . (آحبوض) : التمر في لغة . (تيحبوض) : البطن في لغة اخرى . (آقرضال) : العظيم أو الكبير . (آمتشيض) : التين . (إِيضارنْ) : الارجل أو الاقدام . قال الشيخ : وادليت الى الضابط بالنتائج التي كنت انتهيت اليها في هذا الموضوع بعد الدراسة المستفضية والاستقراء الشاق الطويل ، وهي ان هذه البربرية ليست لغة مستقلة بنفسها ، وانما هي عربية في اصلها ، قد تحرفت بطول الزمن حتى أصبحت أكثر بعداً عن العربية الفصيحة من هذه اللهجات العامية المختلفة التي تتكلمها الشعوب الناطقة بالضاد . ويجوز مع ذلك أن تكون العربية قد غزت البربرية

وامعنت فيها حتى نسفت كيانها وافقدتها كل الخصائص والميزات .

ثم قال الشيخ : وما كنت أظن أن هذا الضابط الفرنسي سيعلن في احد المؤتمرات هذه المعلومات ويقرر ان هذه البربرية انما هي عربية من غير ان يشير بكلمة واحدة الى انه اخذ ذلك كله عن هذا الشيخ العربي . وهنا قام الشيخ غضبان آسفاً ، ثم ودّعنا ومضى .

حول الترجمة والتاليف والنشر

الترجمة في الدور العباسي[1]

« الاسباب التي دعت الى الترجمة »

من الواضح أن اول من اشتغل في ترجمة العلوم الإسلامية هو خالد بن يزيد الاموي وكان هذا الرجل ذا مطامع كثيرة وذكاء شديد فلما غلب على امر الخلافة انصرف الى العلوم عله يجد فيها ما يلهيه ويسد مطامعه ، وكانت صناعة الكيمياء رائجة في مدرسة الاسكندرية فاستقدم جماعة علموه الصنعة ولما تعلمها امر بنقل جملة من كتبها الى العربية فنقل له ذلك اصطفن الاسكندري وهذا اول نقل في الإسلام وكان خالد هذا يميل ايضاً الى النجوم والفلك ولعله امر بنقل بعض كتبها ولم يصلنا خبر ذلك .

اما جمهور الامة العربية عندئذ فكان منصرفاً عن الترجمة بما ورثه عن آبائه من شعر وخطابة ولغة ونظيرها ، وما جاءه من القرآن والسنة وما يتعلق بهما وكان العرب حريصين على ذلك ولا يزالون على الفطرة وبقايا البداوة اللهم الا فيما يخص بعض الأوضاع الطبية ، ولم يكن أيضاً بالامر المنتشر وانت تعرف مدى الترجمة عند العرب في صدر دولتهم بما ينقل عنهم من حديث ما سر جويه الطبيب اليهودي البصري المعاصر لمروان بن الحكم ذلك انه ترجم من السريانية كتاب اهرون بن اعين في الادوية فحفظ هذا الكتاب في خزائن الكتب بالشام حتى ايام عمر بن عبد العزيز فحرضه جماعة على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به فتردد مدة استخار الله أربعين يوماً ثم أخرجه الى الناس وبثه بينهم ، ومن هذا تعرف منزلة الترجمة والاستفادة من علم الأوائل عند الأمويين ولما تولت الدولة العباسية كانت الحالة على خلاف ذلك وان أردنا أن تبحث عن علة ذلك نراها ترجع لا سباب عديدة أهمها .

١ ميل بعض الخلفاء العباسيين الى الطب والنجوم ، والخلفاء من أقدر الناس على تنفيذ رغائبهم ومن عادة الناس الاقتداء بملوكهم وأمرائهم ، وأول من فتح هذا الباب أبو جعفر المنصور ذلك انه كان مبتلياً بسوء الهضم فاجتهد في ازالة مرضه هذا الذي كان يمنعه من التلذذ بالمأكولات وسرعة هضمها ، ولما عسر ذلك على اطباء بغداد أشير عليه بجلب بعض أطباء مارستان جند سابور وبعض اطباء الهند فجلب من الهند احد اطبائها كما جلب جورجيس بن بختيشوع النصراني رئيس اطباء جند سابور فاستفاد منه وقدر صنعته وجعل له الجرايات وامنه حتى على جواريه وداخل بلاطه لتدينه وشدة احتشامه وثقافته ولهذه الاسباب استطاع الرجل أن يترجم عدة كتب طبية مهمة للغة العربية بعد أن شعر بنقصها في ذلك وكان يحسن اليونانية والعربية والفارسية ، واذا أضفنا شدة انتشار عقيدة النجوم في ذلك العصر ونسبة النحس والسعد اليها وسيطرة هذه العقيدة على الخلفاء يتضح لنا سبب آخر وقد كان المنصور من المتمسكين بها حتى قرّب المنجمين فأخذ هؤلاء يفدون من نواحي البلاد الشرقية ، ومن جملة من وفد رجل هندي عالم بالاوضاع الفلكية وحساب حركات النجوم فعرض على المنصور كتابا في النجوم على طريقة الهند فأمر بنقله وان يؤلف منه كتاب يتخذه العرب اصلا في حركات الكواكب فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري وعمل منه كتابا سماه المنجمون (السند هند) وكان الفرس متضلعين بالنجوم فقرب المنصور بعضهم واتصل المنجم الفارسي نوبخت به اتصالا وثيقاً حتى كان يصبحه حيثما توجه ولما ضعف عن الخدمة لكبره قال له احضر ولدك ليقوم مقامك فاحضر ولده ابا سهل بن نوبخت واذا أضفنا ارتباط ابن المقفع بالمنصور وترجمته له كتب المنطق نعرف ان أول سبب في نشر هذه العلوم هو ميل المنصور وكان هذا الميل الى النجوم والطب ونحوها متسيطراً على الخلفاء بعده واظهرهم الرشيد الذي ازهرت في زمانه الترجمة ، وقد تربى ايضا في احضان البرامكة الذين كانوا ساعداً قوياً في ترجمة العلوم ثم المأمون الذي كان مضافاً الى ميله الى ذلك يدين بمذهب المعتزلة وهو مذهب يرغب في الفلسفة ويحبذها .

[1] عن « مجلة العرفان » — صيدا (سوريا)

٢ ان العرب كما قلنا كانوا في العهد الاموي باقين على طراز البداوة والميل الى آدابهم الخاصة فلما جاء العصر العباسي واختلطوا ببقية العناصر الاسلامية اختلاطاً دقيقاً رأى المسلمون ان هذه الحياة الواسعة تحتاج الى نواحي علمية كثيرة من تنظيمات حسابية وهندسية وعلوم طبية ومنطقية وغيرها فالتجأوا والى معرفة ذلك ولا يكون الا بالترجمة فابتدأو في ترجمة جملة مما يحتاجون اليه ودعاهم حب الاستطلاع الى تعرف كثير مما عند غيرهم وان لم تمس الحاجة لذلك وهكذا انتشر حب الترجمة للعموم بين الخلفاء والوزراء وذوي النفوذ وغيرهم .

٣ بلغ النزاع الديني في أواخر الدولة الاموية وأول تسلط العباسيين الى مرحلة بعيدة وتجادلت الفرق الإسلامية فيما بينها طويلا طويلا فجرهم ذلك الى تعلم المنطق والفلسفة والاطلاع عليها وعلى اصول الجدل والاستدلال خصوصاً وان ذلك متناول يدهم ومنتشر بين سريان العراق والشام فدفعهم هذا الى الترجمة ولعل ذلك هو السر في تقديم ابن المقفع ترجمة المنطق ومباديه على غيره من العلوم ، ولقد كان للمعتزلة اليد الكبرى في نشر هذه الكتب والترغيب اليها ليتأيد مذهبهم الذي كان اساسه تطبيق النصوص الدينية على الاحكام العقلية .

٤ ميل جملة من المسلمين من غير العرب الى ترجمة علومهم وآدابهم لاطلاع العرب على ما عند اولئك من الحضارة والعلوم ولإفادتهم في ذلك لما فيها من العبر والآداب وأظن أن هذا السبب الرابع كان عاملا فعالا في ترجمة جملة من تاريخ الفرس والهند وقصصهم وآدابهم مضافاً الى أن جملة ممن اشتغل مع العرب من الفرس كابن المقفع والبرامكة وآل نوبخت وآل الفضل كانوا فضلاء ذوي اطلاع واسع وثقافة عالية فدفعهم ذلك الى نشر هذه الامور بين هذه الدولة الجديدة التي قام جملة من اركانها على أيديهم ونقل تراث آبائهم الى لسانها ، وكان البرامكة اذكياء ميالين للعلوم فاهتموا بها وكانوا يعقدون مجالس المجادلة والمباحثة في دورهم وتحت اشرافهم وقد جلب يحي بن خالد البرمكي جماعة عديدة من أطباء الهند كانوا عضداً قوياً في ترجمة علوم الهند .

***

الخلفاء المعتنون بها

(١) المنصور :

كان مع اطلاعه على الفقه والآداب ميالا الى علوم النجوم والفلك والطب ونحوهما وهو أول خليفة قدم المنجمين وعمل باحكامهم فكان قدوة لمن بعده وقد خدمه نوبخت الفارسي المشهور وولده وتوالى آل نوبخت في خدمة الخلفاء وترجموا لهم كتبا قيمة في النجوم وكذلك جلب المنصور بعض اطباء الهند وترجم في زمانه أول كتاب في النجوم وبقي يعمل به حتى زمن المأمون فصنفوا على منواله وترجموا غيره وجر هذا الخليفة ميله الى غير هذه العلوم من هندسه وغيرها ان كتب الى ملك الروم ان يبعث له بذلك فبعث له جملة منها ككتاب اقليدس في الهندسة وبعض كتب الطبيعيات ومن هنا نعرف سر ارتباط ابن المقفع بالمنصور وترجمته له بعض كتب المنطق .

(٢) الرشيد :

لم يكن للمهدي ميل لهذه العلوم بل كان ميالا للعلوم الإسلامية الصرفة اكثر من غيرها ولم يعرفنا التاريخ عن الهادي في ذلك لقلة ايامه ولما صارت الخلافة الى الرشيد كانت الافكار ناضجة ومتنبهة للعلوم القديمة وقد صادفت منه الميل الشديد فكان محوراً تدور حوله هذه العلوم ويظن الاستاذ احمد امين أن لتربية البرامكة للرشيد اثرا فعالا في تنمية هذه الروح ، ولقد اتفق له ان عثر على جملة من هذه الكتب في بلاد الاناضول اثناء حروبه مع الرومان فحملها الى بغداد وامر طبيبه يوحنا بن ماسويه ان يترجمها وفي ايامه نقل اقليدس النقلة الأولى كما نقل المجسطي اعظم كتاب في الفلك وأول من اعتنى بنقله يحي بن خالد البرمكي .

(٣) المأمون

بذل جهده في نشر علوم القدماء وترجمة كتبهم وكان بينه وبين ملك الروم مراسلات فكتب المأمون اليه يسأله الاذن في اختيار بعض ما لديه من كتب العلوم القديمة المخزونة لديهم فأجاب الى ذلك بعد ممانعة فاخرج اليه جماعة من المترجمين كالحجاج بن مطر وابن بطريق ومسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم واختاروا مما وجدوه وحملوه الى بغداد فأمرهم بنقله بمعاونة حنين بن اسحاق واشرافه وتصحيحه ما ينقلون وكان يعطي من الذهب زنة ما ينقل

من الكتب مثلا بمثل حتى كان حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة واسطر متفرقة على ورق غليظ كيما يزاد الوزن وبعد ان ترجم المأمون تلك الكتب حض الناس على قراءتها ورغبهم في تعلمها وكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويعقد المجالس لذلك والسبب الدافع له الى هذا الاهتمام الرغبة الشديدة في نشر آرائه المعتزلية مضافاً الى ثقافته العالية حتى قيل انه كان اعلم اهل زمانه وكان مطلعاً على اللغة والدين والنجوم والفلك عارفاً بكل ما نقل من زمن المنصور الى زمانه وذكر له ابن النديم مصنفات ثلاثة احدها رسالة في اعلام النبوة ، واقتدى بالمأمون كثير من الوزراء والاعيان وأهل الثروة حتى كثر المترجمون في بغداد من النساطرة واليعاقبة والصائبة والفرس والبراهمة وغيرهم يترجمون من لغاتهم العلوم وظلت هذه النهضة مستمرة بعد المأمون الى عدة خلفاء كالواثق والمتوكل ونحوهما حتى نقل للعربية اكثر كتب القدماء .

اشهر المترجمين

(١) جورجيس بن بختيشوع طبيب المنصور وقد مرت نبذة من ترجمته .

(٦) حنين بن اسحاق العبادي الحيري العربي شيخ المترجمين واستاذهم الكبير وكان يجيد الفارسية واليونانية والسريانية والعربية وقد كان استاذاً كبيراً في اللغة العربية وكان همه ترجمة الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس ويندر ان يوجد من كتب جالينوس كتاب الا بنقل حنين او باصلاحه وقد اشتغل برآسة الترجمة في زمن المأمون وفي زمن المتوكل وقد عين له هذا الأخير جماعة من المترجمين كاصطيفان وموسى بن خالد ويحي بن هارون وغيرهم وكان له ولدان اسحاق وداود كأبيهما وان كان أكثر نقلهما للعلوم الفلسفية ككتب ارسطو وشروحها وقد نقل اسحاق من اليونانية والسريانية وكان فصيحاً في اللغة العربية يزيد على أبيه فيها كما كان صحيح النقل جيده .

(٣) حبيش الاعسم الدمشقي ابن اخت حنين وتلميذه وكان حنين يقدمه ويعظمه ويرضى نقله وهو يتقن اللسان السرياني .

(٤) قسطا بن لوقا البعلبكي ، كان عالماً باللغات اليونانية والسريانية والعربية ونقل كثيراً من كتب اليونان وتنقل في بلاد الروم لتحصيل العلوم وكان يضاهي حنين في الأدب والفضل متقناً للغة العربية فصيحاً فيها .

(٥) الحجاج بن مطر وهو من جملة المترجمين للمأمون وناقل كتاب المجسطي .

(٦) ثابت بن قرة الصابئي الحراني وكان يعرف السريانيه جيداً وهو جيد النقل لازم المعتضد وبلغ عنده منزلة عظمى .

(٧) البطريق ، وكان في ايام المنصور له نقل كثير وجيد .

(٨) أبو بشر متى بن يونس من اهل دير قنى تفقه على اساتذة عظام في مدرسة مار ماري واليه انتهت رئاسة المنطقين في عصره وهو مترجم شهير معروف بالضبط .

(٩) يحي بن عدي من اهل القرن الرابع قرأ على متى بن يونس وعلى الفرابي .

هؤلاء أهم المترجمين للعلوم اليونانية والسريانية والرومانية اما أهم المترجين من الفارسية فهم كما ذكرهم ابن النديم :

(١) ابن المقفع (٢) آل نوبخت (٣) موسى ويوسف ابنا خالد (٤) الحسن بن سهل (٥) علي بن زياد (٦) البلاذري (صاحب الفتوحات) (٧) جبلة بن سلم (٨) اسحاق بن زيد (٩) محمد بن جهم البرمكي الى آخر الستة عشر الذين نقلهم في الفهرس .

اما المترجون من الهندية والنبطية (الكلدانية والزطية في العراق) فهم منكه وابن دهن الهنديان وكان الاخير يرأس بيمارستان البرامكة ، وابن وحشية النبطي وان اردت استيعاب الموضوع فعليك بابن النديم او تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان .

اهم الكتب المترجمة ، مصادرها ، مترجموها

(١) اولا المنقولة عن اليونانية .

وهي كثيرة تعد بالمئات لفلاسفة وعلماء كثيرين وهاك بعضها كمثال اما اذا اردت الإحاطة بالموضوع فراجع ابن النديم فهو خير دليل .

الفلسفة

كتاب النواميس	افلاطون	نقل حنين	(موجود في المانيا خطاً)
» الحسن واللذة	»	...	
» طيماوس	»	نقل ابن بطريق واصلاح حنين	(موجود باللاتينية ومطبوع)
» السماء والعالم	ارسطو	» »	
» السماع الطبيعي	»	»	يحي وحنين وقسطا
» النفس	»	»	اسحاق
» الآثار العلوية	»	»	متى بن يونس

الاجتماع

كتاب السياسة	افلاطون	نقل ابن حنين ونقل يوحنا ويوجد بنقل الاخير في المانيا
« الاخلاق	ارسطو	اسحاق (ونقله في ايامنا هذه نقلاجديد الاستاذ لطفي السيد وطبعه)
« ما يعتقده رأياً	جالينوس	ثابت
« تعرف المرء عيوب نفسه	جالينوس	نقل توما واصلاح حنين
« الاخلاق	«	« حبيش
« انتفاع الاخيار باعدائهم	«	« «

المنطق

وهي كثيرة جداً ولخصوص ارسطو طاليس مقدار يزيد على اربعة عشر كتاباً منها كتاب المقولات وكتاب تحليل القياس وكتاب الخطابة والجدل وكتاب المغالطات وكتاب البرهان الى غير ذلك .

الطب

نقل لخصوص جالينوس مقدار خمسين كتاباً ولبقراط خمسة عشر كتاباً ولكروفس نيف وعشرون كتاباً الى غير ذلك وتجد ذلك مفصلاً في الفهرس وتاريخ الحكماء وهاك بعضها :

كتاب الفصول	ابقراط	نقل حنين
« الكسر	«	« «
« البحران	جالينوس	« «
« تعرف العلل للاعضاء الباطنة	جالينوس	« «
« النبض	جالينوس	« «
« تدبير الاصحاء	«	« «
« التشريح الكبير	«	« حبيش
« تشريح الحيوان الحي	«	« «
« « « الميت	«	« «
« تركيب الادوية	«	« «
« الرياضة بالكرة	«	« «
« حركات الصدر	«	« اصطيفان
« المولد لسبعة اشهر	«	« حنين
« البرسام	اسكندروس	« «

الرياضيات والنجوم والموسيقى والميكانيك وغيرها

وهي كثيرة ايضاً ولا نحب الاطالة هنا خوفاً من ملل القراء بل نذكر جملة من ذلك كمثال يدلك على عظمة همة القدماء ، منها لاقليدس كاصول الهندسة وكتاب اختلاف المناظر وكتاب الموسيقى وكتاب الخفة والثقل ورسالة القسمة وغيرها ومنها الارخميدس ككتاب تربيع الدوائر وتسبيعها وكتاب المفروضات وكتاب المثلثات والخطوط المتوازية وغيرها ومنها لا بلونيوس ككتاب المخروطات ونحوه ومنها لا برجس ككتاب صناعة الجبر ومنها لبطليموس وهي كثيرة كالمجسطي وكتاب الجغرافيا لمعمور العالم ومنها لغير هؤلاء ككتات الآلات المصوته وكتاب الحيل (الميكانيك) وكتاب الارغن وكتاب الايقاع وكتاب استخراج المياه وكتاب الآسطرلاب وكتاب جرم الشمس والقمر الى غير ذلك ولا يزال بعضها موجوداً ومطبوعاً أيضاً .

(٢) المنقولة عن الفرس :

يهمنا جداً أن نتعرف بصورة واضحه على الكتب التي ترجمت لنا عن الفرس لشدة أثرها علينا من الوجهة الأدبية والتاريخية لان أغلب الكتب التي ترجمت في النهضة العباسية عن اللسان الفارسي انما هي في الآداب والتاريخ والاشعار والقصص والحكايات وان كان بعضها في النجوم والطب والمنطق ولأن اغلب الادباء الذين جاءتنا آثارهم في هذه النهضة من الفرس او ممن اتصل بهم وهاك جملة منها .

كتاب رستم واستفنديار	في التاريخ	نقل جبلة
« بهرام شوس	« «	« «
« سير ملوك الفرس	« «	« «

نقل محمد بن جهم البرمكي (وقد نقل ثمانية كتب باسم سير ملوك الفرس لنقال مختلفين)

كتاب زرادشت في الدين الفارسي

« هزار افسانه (الف خرافة) وهذا هو اصل كتاب الف ليلة وليلة الذي اضيف اليه مواضيع عربية وهندية وغيرهما حتى صار هذا الكتاب الذي بايدينا اليوم .

كتاب دار او الصنم المذهب	في التاريخ
« كارنامه انوشروان (اعمال انوشروان)	في التاريخ
« هزار دستان (حكاية البلبل)	في القصص

كتاب شهر زاد مع ابرويز في التاريخ
: بهرام ونرسي ...
: الدب والثعلب في الحكايات
: خرافة ونزهة ...
: عهد اردشير في السياسة والأدب نقل البلاذري (وطبع موجزه مع رسائل البلغاء)
: موبذ موبذان (رئيس الامراء) في السياسة
: اردشير في التدبير والإرادة
: ادب الحرب في آداب الحروب

وقد ترجم ابن المقفع كتباً كثيرة في التاريخ والقصص والمنطق وغيرها وهي اول الكتب التي ترجمت في بابها في هذا العهد فراجعها في ترجمة ابن المقفع ، ومما يلزم ذكره هنا هو ترجمة الشاهنامه للفردوسي التي نظمها في تاريخ ملوك الفرس القدماء وترجمها للعربي الفتح بن علي البنداري نثراً للملك المعظم عيسى الايوبي وطبع هذا الكتاب الاستاذ عزام بعد ان قدم له مقدمة ضافية في توضيح بعض نواحيه .

(٣) المنقولة عن الهند :

نقل المسلمون كثيراً من كتب الهند في الطب والنجوم والرياضيات والقصص والتاريخ وكان للبرامكة ميل شديد في استقدام اطباء الهند فاستقدم يحي بن خالد كما يقول الجاحظ جماعة من ارقى اطبائهم كمنكه وبازيكر وقلبرفل وسندباز وغيرهم ومن مشاهير اطبائهم الذين عاشوا في بغداد وترجمت بعض كتبهم شاناق صاحب كتاب السموم وقد اوعز يحي بن خالد الى ابن حاتم البلخي بترجمته وهاك بعض كتبهم :

كتاب العقاقير نقله منكه
: علاج الحبالى «
: التوهم في الامراض والعلل
: صفوة النجح نقله ابن دهن
: رأي الهند في اجناس الحيات وسمومها

اما في النجوم والرياضيات والموسيقي والفلسفة والمنطق فكثيرة جداً وللهند أثر عظيم في النهضة العباسية ويكفيك أن أول زيج نقل هو للهند وان انت قرأت فلسفة التناسخ في الإسلام وأساليب التصوف تعرف أثر الفلسفة الهندية على النهضة العباسية وهاك بعض ذلك : كتاب حدود المنطق كتاب بيدبا في الحكمة كتاب بيافر في الموسيقى واصول الالحان كتاب الاركند في الفلسفة الى غير ذلك اما في الحكايات والقصص والاخلاق والآداب فكثيرة ايضاً حتى لا تكاد تطالع كتاباً في الادب العربي العباسي الا وترى النقل الكثير عن كتب الهند وادبهم ومن تلك الكتب كتاب ادب الهند والصين وكتاب ملك الهند القتال والسباح وكتاب اطرفي الاشربة وكتاب شاناق في التدبير وكتاب سندباد الصغير والكبير الى غير ذلك ولا يخفى عليك كتاب كليلة ودمنه .

(٤) اهم الكتب النقولة عن النبطية .

هناك نوع من الكتب التي ترجمت عن النبطية (اخت السريانية أو هي اللغة الكلدانية القديمة في العراق) وهذا النوع من الكتب شديد الاثر على آدابنا وتاريخنا وبعض عقائدنا وكثير من كتب هذه اللغة يتعلق بالزراعة والفلك والنجوم والشياطين والسحرة والطلاسم والاصنام وقد نقل اغلبها ابن وحشية النبطي أحمد بن علي في أواخر القرن الثالث وأول القرن الرابع وهو الذي نقل كتاب الفلاحة النبطية للوزير محمد بن الزيات سنة (٣١٨) ويعد هذا الكتاب اثراً خالداً من آثار العرب الباقية وقد ترجم لاغلب اللغات وطبع مراراً وهاك بعضها : كتاب طرد الشياطين، كتاب السحر الكبير، كتاب مذاهب الكلدانين في الاصنام، كتاب اسرار الكواكب، كتاب الطلسمات، كتاب القرابين، كتاب نمرود ملك بابل، كتاب الشيخ والفتى، كتاب الحكيم الناسك لى غير ذلك .

(٥) الخامس في الكتب المنقولة عن اللاتينية والعبرية .

لا يشك كل مطلع على تاريخنا في اثر الكتب الرومانية واليهودية عليه وهاك جملة من ذلك كما نقلها ابن النديم : كتاب تاريخ الروم كتاب أدب الروم، كتاب العقل والجمال، كتاب انطوس السايح وملك الروم ووو ... ونقل سعيد الفيومي المتوفي سنة (٣٣٠) هـ الى العربي التوراة وهناك كثير من الكتب العبرية ترجمت وان يضبط ذلك متقناً .

أثر هذه الكتب المترجمة

لا ريب ان لهذه الكتب الاثر الفعال في الانقلاب العظيم الذي حصل في الدور العباسي من وجهة العادات والتقاليد والفنون والعلوم والآداب والدين وغير ذلك وهاك جملة من ذلك التأثير ليتضح لك مفعولها الخاص .

(١) بعد ان كان العربي بسيطاً ولعله لم يكن يهتم بما يعثر عليه من العلوم ابان صدر الاسلام والعصر الأموي اصبح معتكفاً عليها مستكشفاً بعض الآراء الفلسفية والفنية مدققاً فيها والعربي اول من نظم الجبر على اساس النظريات الصحيحة ورتبه بعد ان جاءه بسيطاً ولم يترجم العرب الا كتابين في مسائل تعد من اوليات ومبادئ الجبر وقد رأينا كيف نضج واتسع هذا الفن عندهم لذلك ينسبه علماء الغرب الى العرب ولو أردنا أن نحصي المكتشفات الطبية لعجزنا عن ذلك كما يقول جرجي زيدان فالعرب أول من استخدم البنج وكثيراً من مركبات الادوية التي وضعوها من ابتكاراتهم ولو راجعت جملة من المحلولات الكيماوية لعرفت اثر العرب فيها وقد اخترعوا جملة من آلات الغناء وهم أول من استكشف قوانين ثقل الأجسام المائية وأصلحوا كثيراً من خطأ اليونان في طبهم وادويتهم وفلسفتهم، وقد الفوا الازياج وبنوا المراصد وضبطوا جملة من حسابات الفلك وصنعوا الاسطرلاب العربي بعد أن اطلعوا على الاسطرلاب اليوناني ورصدوا الاعتدال الصيفي والربيعي ونشروا الارقام الهندية وهم أول من اخترع الساعة الدقاقة الى غير ذلك من مبتكراتهم التي كتب فيها المتتبعون مجلدات ضخمة كل ذلك بفضل ترجمة هذه الكتب والعلوم.

(٢) بعد ان انتشرت الفلسفة بينهم انتظم علم الكلام الاسلامي وأيدت العقائد بحجج المنطق والفلسفة ولولا هذه الفلسفة اليونانية ماكان المذهب الاصلاحي المعتزلي في الاسلام ولا كانت آراء النظام وغيره من عظماء المعتزلة ولا عرفنا جملة من علماء تفسير القرآن على النحو الفلسفي.

(٣) في الأدب وناهيك بهذا الباب فقد دخل للادب العربي مواضيع جديدة كالقصص والحكايات والحكم المفردة من سائر الامم الشرقية وان كان تأثير الفرس في هذا الباب اكثر من غيرهم، ولقد كثرت مادة اللغة والفاظها بدخول التعريب والاشتقاق والوضع الجديد المناسب لاصل اللغة، ولقد جاءنا الدور العباسي بمئات الكلمات من اصلاح المترجمين والكتاب المحدثين كل ذلك من فضل الترجمة واذا أضفنا الى هذا المعاني الجديدة والاساليب العلمية المبتكرة نعرف مدى تأثيرها على الحضارة العباسية وأدبها.

(٤) تأثير هذه الكتب في تكثير النوابغ في الاسلام ولو أحصينا الرجال الذين نبغوا في الطب والفلك والفلسفة والحكم والكلام والموسيقى وغيرها لعجزنا عن ذلك ولولا هذه العلوم ماكان ذلك ولا كانت هذه الثقافة الواسعة ولولاها لما شاهدنا الفارابي والكندي وابن سينا وابن رشد واخوان الصفا وابن الهيثم وغيرهم من عظماء الفلاسفة والمفكرين سواء في بلاد الشرق أو بلاد الاندلس، وقد تبع ذلك كثرة المؤلفين والمصنفين في هذا الدور وانتشار المكتبات العامة والمعاهد العلمية ثم تنظيم كتب التأليف والتصنيف فبعد ان كانت مضطربة مشوشة تحوي المواضيع العديدة والابواب المتفرقة اصبح للكتاب تبويب منظم وصار المؤلف يحدد مواضيعه ويخصص ابحاثه.

(٥) دخول جملة من العقائد الدينية وتكثير الفرق الاسلامية وقد تمكن كل فريق من تأييد مذهبه بهذه الفلسفة القابلة لكل طور من اطوار الاستدلال والمنطق كذلك كثر الاعتقاد بالتنجيم والطلاسم والسحر والخرافات البابلية واليونانية والفارسية واليهودية ونحوها، وقد دخلت جملة من هذه الامور في صلب الدين كما قد انتشرت فلسفة التصوف وطرقه وعقائد التناسخ والحلول ونحوها من عقائد الهند واليونان، واذا أردنا أن نتتبع جملة من عاداتنا وتقاليدنا لشاهدناها بين طيات جملة من هذه العلوم والكتب التي ترجمت في الدور العباسي.

(٦) انتشر فن الموسيقى فقد اقتبسوا كثيراً من موسيقى اليونان والفرس واخترعوا بعض الآلات الموسيقية والاصوات الغنائية، ولعل لهذه الكتب المترجمة يدا قوية في اختراع الاوزان الشعرية الجديدة التي تولدت في العصر العباسي إلى غير ذلك من الفوائد الجمة.

حميد الدجيلي

لذعات بريئة...

هل يسمع شعراؤنا ؟

لم يزل الشعر في كل عصر وفي كل أمة مرآة صافية تنعكس فيها اخلاقها وعوائدها واميالها واتجاهاتها ولم يبرح مثالا قائماً لما بلغته الامة من حضارة وما لعبته من أدوار وما مرّ عليها من أخطار فهو سجل للحوادث خالد وترجمان الامة ومنطق الحكمة ، وقد قال فيه الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله : لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر .

والشاعر الحقيقي من يستطيع أن يرسم بشعره صورة لخلجات نفسه وأمل أمته وينطق بالصواب الذي لا يتطرّق اليه الكذب ولا المبالغة ولا يفسده الغموض والابهام والبهرجة والتهريج وهذا من البديهيات التي لم تبق بحاجة الى التعريف :

إذا الشعر لم يوقظ من الشعب راقداً
فلا قذفتْ درّ القوافي بحورها
ورب قواف من دموع نظمتها
فكانت عقوداً والاماني نحورها
يعزّ على عيني البكاء وانما
على ذكر أوطاني يفيض غديرها

بلى ان الشعر دموع القلوب وذوب الافئدة وفيض الشعور ولا يزال هو تلك النسمة العلوية والنفحة الطيبة التي تهب على القلوب فتنسيها الهموم وتجلي عنها الغموم التي تكدسها مصاعب الحياة ونكبات الدهر وطالما هبّ المحزون الى ديوان الشعر ومقطوعاته يهدئ بها النفس ويلتمس فيها السلوى:

إذا ما به غنى المغنون هاجني
فثار بما غنوا سروريَ والحزن
إذا الشعر لم ينهض بآدب أمة
إذاً خابت الآمال في الشعر والظن

***

ولقد كان لهذا المغرب في عصوره الغابرة وأيامه الزاهرة شعراء استوحوا شعرهم من جمال المغرب الفتان وسمائه الصافية ونسيمه المنعش ومناخه الطيب وكثرة مياهه العذبة وانهاره الجارية وبساتينه المخضرة واشجاره الباسقة ومناظره الساحرة للب والمبهجة للقلب فكان شعرهم صورة للواقع ورسماً لنفسيتهم وخواطرهم ومثالا من الشعر الاندلسي الرقيق بما فيه من عذوبة وانسجام ورصف متين ووصف بديع ، وقد ساعدهم على ذلك جوارهم واتصالهم بالفردوس المفقود ، ولم تخل هذه الديار من نهضة أدبية وطائفة صالحة من الشعراء كبني العزفي وأمثالهم الذين خلدوا للشعر المغربي آثاراً لا تزال محفوظة في المخطوطات ومدخرة في الخزائن المتعددة بالمغرب الى أن يهيئ الله من يحيي ذلك الأثر الدفين ويقوي عزيمته من أوتي الاستعداد الكافي لدراسته دراسة بحث وتحليل .

ولنا حتى اليوم والحمد لله حمداً كثيراً طبقة كبيرة من الشعراء وشيوخ القريض ولا تخلو مدينة من مدن المغرب حتى في أقصى سوس من شاعر بل من شعراء فقد تعددوا وكثروا حتى أوشك كلامنا أن يصبح شعراً وخشينا أن يسمي كل من يحمل قلماً ويعرف الهجاء شاعراً بدون وجل وخوف محاسب ومعقب ، وهذه عوامل الفوضى السائدة في وسطنا الادبي شجعها عدم وجود حركة للنقد والتزييف وقلة الصحف التي تفسح المجال للنقد وتقوي حركته وتساعده على النمو والازدهار، وعندي

لو أن حركة مثل هذه موجودة الأثر لعجلت بالقضاء على الفوضى الظاهرة واجتثت كل الشخصيات التي اعجبتها الالقاب وخدعتها البهرجة والاطراء ، وفي عام مضى سرتنا بعض فصول نشرت بمجلة المغرب تحت عنوان (أبحث عن شاعر) كانت كتمهيد لحركة النقد ومفتاح لبابه الذي ظل مغلوقاً وأوجف بعض الشعراء خيفة على شخصياتهم وشاعريتهم من أن يمتد اليهم المبضع وتجري فيهم العملية فوق المشرحة التي كانت مهيئة في ذلك الحين ولكن العملية انقطعت فجأة ولعل الكاتب أمسك عن الاتمام بدافع العاطفة الغلابة ورقة القلب واشفق على اولئك الشعراء وعلى مراكزهم التي يتمتعون بها مطمئنين ، ولكن لا ، فقد أرضى قوماً وسرى عنهم واحنق آخرين لبثوا منتظرين لنتيجة البحث ومجهود العملية ، والنقد يجب أن يظهر أثره ويعمل مفعوله وعار أي عار أن نهجره مقتنعين بالسكوت ولا نحرك الاقلام لاثارة الحركة المقصودة لتحطيم هذه الاصنام التي أزعجتنا في كل مناسبة وصدعت الافكار وأقلقت الخواطر بكثرة ما تخرجه من الشعر الركيك والنظم السخيف وصار جناية على الادب العربي واستخفافاً بحقه الذي يجب أن يصان ، وليس يضيرنا ان فعلنا غضب شاعر من الشعراء ولا يضرنا حنق بعضهم وما يقولون ما دمنا الى جانب الحقيقة نعمل لخدمتها وننهض بعبء لا مندوحة عن القيام به وما دام رائدنا الانصاف لا نظلم فرداً ولا نحط من قيمة شخص ، وهذه صحف الشرق ومجلات مصر على الاخص تعني بالنقد عناية فائقة وتطلع علينا بمقالات مليئة بنقد شعراء تلك الجهة ولا تكاد تخرج المطابع ديواناً حتى يسرع اليه الكتاب وتتلقفه الاقلام فتشبعه نقداً وتحليلا ، أفلا يكون لنا بعض اقتداء بهم ومسايرة لخطتهم وانتهاج لمسلكهم المأخوذ عن صحف الغرب فتتطهر ساحة ادبنا قليلا ويخلو الجو للمجيدين ويظهر لنا أدب ممتاز يصلح أن يكون صورة واضحة لناحية من نواحي الحياة بهذا الوسط ؟

أعتدنا في شهر المولد النبوي الكريم أن نقرأ بالسعادة — جريدة الافراح والمآتم والاقامة والظعن — تحليات لبعض القصائد المولوية ، والسعادة في هذا الباب لا تبخل بالالقاب ولا تظن بالنعوت فالقصائد عندها كلها عصماء ودرر غراء حتى اذا فرغت من التحليات وانتهيت إلى القصائد خرجت منها وانت منقبض الصدر مندمل القلب تلعن الشعر وتلهث من التعب وذلك أثر الشعر الركيك من القلب ومفعول النظم السخيف في النفس ، وقد هيأت لي المناسبة في العطلة العيدية ان اطالع ما جادت به القرائح في هذا الغرض فقرأت قصيدة الاستاذ المؤرخ سيدي عبد الرحمان بن زيدان وقصيدة ثانية للفقيه السيد عباس الشبرفي في الوداع فاذا بهما لا يختلفان بشيء عن كل ما يصدر من امثالهما في هذا الباب ولا تقلان درجة عن بقية شعرهما المعدود فأقرأ معي الابيات الاولى من قصيدة الزيداني :

نور النبوة في جبينك ساطع
وبملكك الاسنى استنار الطالع
والنصر والفتح المبين تسابقا
لمقامك العالي وكل خاضع
سعدت بطلعتك التي من دونها
سعد السعود من السعود مطالع

والمستهل كما تعهد في مختلف الشعر يختاره الشاعر ليكون في منتهى السمو والاعجاز وليترك في النفس الأثر المحمود ويدفع بالقارئ إلى الاستزادة ويبعثه على الاسترسال حتى النهاية ولكنك حين تقع عيناك على هذه الابيات

ما ذا عساك انت شاعر به من الاهتزاز والانفعال ؟ هذا حكمه إلى ذوق القارئ فليمعن وليشهد بالحق ، أما البيت الثاني فكانته من الابتذال ظاهرة جلية ملت الاسماع من تكرار معناه السنين الطويلة وسئمت النفوس من الفاظه المتداولة ، كليشي بالى من كثرة الاستعمال وطابع عتيق لا يرسم واقعاً محسوساً ، أما البيت الثالث فقد تكررت فيه لفظة السعود والسعود والقافية كما في علمك من حرف العين وفي السعد سين وعين فصار الكل عيوناً - حفظك الله - وحكم هذا حكم ما وقع لذلك البيت الجاهلي :

الا لا يجهلن احد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فلله من هذه الجهالات ومن تتابع الجيمات ، وقول الاعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني

شاو ، مشل شلول شلشل شول

ومثله بيت أبي الطيب :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا

قلائل هم ، كلهن قلائل

ونظيره له : أرق على ارق ومثلي يارق

واذا كان للشريف ابن زيدان من يشاركه في هذا التعقيد وفساد التركيب وليس هو وحده الذي وقع في مثل هذا الاستهجان فنحن نغض الطرف ونتسامح على أنه مقلد معذور ، وقصيدته التي نريد تتبعها بالنقد تقع في نحو الثمانين بيتاً أو تزيد وتحتاج الى فراغ كبير ومجال أرحب من صفحات المجلة التي تعني بشئون اخرى علمية واجتماعية بيد أن معناها لا يزيد ولا ينقص عما ألفناه ونقرؤه في مثل هذه المناسبات المولدية والتهاني العيدية .

والفقيه الشرفي ثاني اثنين اذ هما فرسا رهان في مجال المدح وميدان التهاني والتبريك وهو كسابقه لا يدع الفرصة تمر دون أن ينتهزها ولا يفوته عيد أو رحلة سيد من غير ان يهيأ لها قصيدة من نظمه المعروف ليقدمها برهاناً لولائه واخلاصه وزكاة لوظيفته التي يتمتع بها الآن بعد عطل طال حبله وامتد أجله ، وقد كان قبل هجر الشعر وأخلد الى الراحة فأراح واستراح ولا يقوله الا في فترات يحدثه فيها شيطانه على حد تعبير كتاب اليوم ان صح الزعم وكان لكل شاعر شيطان يوحي الشعر ويلهم القريض .

ولقد يعجبك من هذا الشاعر عدم الاطالة وتعدد الابيات كما يطيل زميلاه الشاعر المطبوع والمؤرخ السابق الذكر فقلما تزيد قصيدته على العشرين قافية الا اذا قصد التطويل وبلغ الاربعين وهو قليل وتلك حسنة من حسنات شاعرنا الى الناس الذين لا يستطيعون الاناة على قراءة المطولات وفعلٌ منه جميل الى هذه النفوس المتضجرة التي لا تقوى على تحمل قراءة شعر فج ونظم لا لحم فيه ولا دم ولا غذاء للروح التي وجد الشعر لأجل تغذيتها وانعاشها وايقاظ الاحساس وبعث الشعور ، وقصيدة الشاعر الشرفي من هذا النوع القصير وموضوعها وداع جلالة السلطان المعظم ولا نجد ندحة عن عرض أبيات منها كشاهد ومثال :

تغيب ولكن لا تغيب عن القلب

وتظهر من بعد كما أنت في القرب

يواجهك الاسعاد واليمن حيثما

حللت وعين الله ترعاك عن كثب

لقد كنت نوراً في الرباط وحوزه

ومذ غبت صرنا في ظلام وغيهب

ولعل هذا المطلع يصلح أن يكون مستهل قصيدة في النسيب وهو به الصق وحبذا لو فعل ليصف لنا بعده ما

يلقاه من هجر المحبوب وما احدثه الفراق من الوجد المشبوب فغاب ولكن لم يغب عن القلب والطيف لا يزال ماثلا لم يبرح مرفرفاً والسعد واليمن يواجهانه وعين الله ترعاه أينما حل ، وتلك هي عواطف المحبين تغلب عليهم الشفقه فيحنون وتفيض الرقة فيقابلون الهاجر بالرضى واعينهم كليلة لا تنظر بعين السخط فهم راضون بما فعل الحبيب في القرب والبعد والوصل والقلى ، كان يجب حيث بدأ القصيدة بذلك البيت أن يصرفها الى موضوعها المتصلة به ، اما موضوع وداع جلالة السلطان فموضوع له جلاله وخطره فكان الصواب أن تكون القصيدة مليئة بالامال التي سيحققها الملك في رحلته فياضة بالثقافة والاستفادة التي سيملأ منها وطابه ليضع لنا منها في المغرب نظيراً وشبيهاً .

وسامح الله الشاعر فلم يكد يصل الى البيت الثالث حتى نفرت القافيه من بيتيها الاولين وفرت بعد سكون واضطربت الرنة الموسيقية اللازمة للشعر فبرد الدم الذي أوشك أن يفور وخمدت الاعصاب قبل أن تثور .

وهذا النفور في القصيدة كثير والضعف في معانيها ظاهر فليس بين ابياتها ارتباط ولا بين روحها اتصال فاقرأ بعد ذلك التوجع الباكي هذين البيتين :

أراه كاسماعيل جد جدوده

شجاعاً مبيداً يوم فاجعة الحرب

ومثل ابن عبد الله في العلم والتقى

وإلا فكالزهري الامام أو الشعبي

ولست والله ادري ما علاقة الزهري والشعبي بالشعر ؟ أو هي القافية اذا جفت وضاقت ولم يبق للشاعر منها مزيد انطلق يبحث عنها بين الاسماء ورجع للذاكرة يستعرض اسماء شيوخ العلم ليسد بهم ثلمة تركها جفاف القافية ونضوب معين الفكر ، وهكذا وقع لشاعرنا في البيت الآتي ايضاً الذي ينسيك انك في مجالي الشعر ويذكرك بعهد الدروس ويستحضر امامك شيوخ الفقه ورجال الحديث :

ويرفعه العلم الصحيح لصفه الـ

جدير به كالمازري او الابي

وأشهد الله ان هذه الابيات التي عرضتها امام القارئ هي مختار ما في القصيدة من نظم ، أما بقية اشطارها فكلها أوصاف باردة وتشابيه ضئيلة أكل الدهر عليها وشرب ومل منها الفكر وضجر فلا تعدو التشبيه بالبحر والنور والكرم والندى كما السحاب ، ومولانا السلطان فوق هذه التعابير الضعيفة الميتة التي لا تدل على شيء ولا تقدر جلالته التقدير الكافي ونحن هنا نقل قضية طريفة تناقلتها كتب التاريخ والادب وتصلح أن تكون عبرة لشعرائنا ونصيحة لهم حين يزعمون النظم قال الربيع صاحب المنصور العباسي : قلت للمنصور ان الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت ايامهم ونفذت نفقاتهم ، فقال اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالاسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هي دويبة من الارض تاكل التراب ولا بالجبل فانما هو أصم ولا بالبحر فانما هو عطائط لجب ومن ليس في شعره هذا فليدخل ومن كان في شعره فلينصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرمة قال أنا له يا ربيع فادخلني فادخله فلما مثل بين يديه قال المنصور قد علمت أنه لا يجيبك احد غيره هات يا ابن هرمة فانشده قصيدته التي منها هاته الابيات :

له لحظات عن جفا في سريرة

اذا كرها فيها عذاب ونائل

له طينة بيضاء من آل هاشم
اذا اسود من كرم التراب القبائل
اذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى
وان قال أني فاعل فهو فاعل

فقال حسبك هاهنا بلغت هذا عين الشعر .

وفي الحق اننا لا ندعو الى تقليد هذا الشاعر بل نطمع أن نرى شعراءنا يتسابقون في حلبة الاجادة في الابتكار والسمو في المعاني والجزالة في الالفاظ اما الضرب على وتيرة ما غبر وترديد المعاني العقيمة وتكثير الجناسات فتلك بضاعة خاسرة واسلوب لايلائم ذوق العصر ولا يناسب الروح الجديدة الثائرة التي علمتنا كيف نميز الطيب من الخبيث .

والشعر عند هذه الطبقة قد بلغ قمة الهرم فيلزم تلقيحه والمطروقات لا تزال عندهم محدودة والمواضيع محصورة واكثر ما تدور على المدح والرثاء والتشبيب المرذول ولا داعي الى هذا المدح الا الاستجداء والاستنداء وطلب الحظوة وشرف المنزلة ، والشعر في عصرنا الحاضر قد ترفع عن الزلفى وسما عن هذا الغرض الحقير فيجب ان يتحول شعراؤنا ويعطفوا ابصارهم لما يدور حولهم من مخترعات وينظروا نحو الطبيعة ففيها مجال واسع للخيال وفي الكون جمال خالد ملهم لشعر التصوير وابداع الوصف .

أما المدح الكاذب والرثاء النادب والتغزل بليلى وهند وليس هناك ليلى ولا هند ولا بالمنزل احد وزم المطايا وحدو النياق والنجائب والوقوف بالرسوم وندب الاطلال فلنا من هذه الدواوين المكدسة ما يغنينا عن قول الشعراء .

فلينصفوا انفسهم اذا لم تكن لهم قدرة على مجارات العصر الحديث وليريحوا الناس بسكوتهم فهو خير لهم وأبقى لذكرهم فلسنا مغفلين الى درجة يحسن معها السكوت عن هذا الضرب من الهذيان ولسنا بسطاء نمر مر العميان وندع الفوضى الادبية تسير سيرها الممتد ونترك شعراءنا يلعب بهم الغرور المتناهي فيحسبون أنفسهم على شيء ونسلم في جانب أدبنا الذي تفاخر به الامم فيبقى متأخراً منحطاً موقوفاً على اصنام يعبثون به ويهدمون صرحه من هذه الديار التي كان لها مقعد العز والشأو البعيد في هذا المضمار من حيث لا يعلمون .

هذه كلمة اولى كتبناها تقدمة للموضوع وتمهيداً لفصول اخرى تاتي بعد حين وسنتناول كل شاعر على حدة ونستعرض بعدهم شعراء الشباب لنعلم هل قاموا بواجب العصر وابدعوا المثال الصالح كنموذج لشاعريتهم المستقبلة أم هم يجرون كما يجري الحمل وراء القطيع ، ثم لا يفوتنا بعد الفراغ من الشعراء تناول المؤلفات التي برزت بالطبع لتكون في ميزان النقد النزيه وبين جناحي الجلم فيقتص من الباطل وينصف الحق ويرد كل سرقة الى كيسها وعسى أن نوفق والتوفيق من الله وحده والى اللقاء ! ...

ابن عباد

ان الكاتب النبيل أعرف الناس بشعرائنا ، وفي مقاله حدة لا تناسب لهجة المجلة ، والافكار حتى في المشرق ــ كما يظهر ذلك جلياً من أحوال مصر وغيرها من البلاد العربية في الجرائد والمجلات ــ لا زالت لم تتهيأ تماماً للنقد المطلق ، وسياسة التدريج حسنة في كل شيء ، ولكن منذ قديم عرف الشعراء واتباعهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) بالخروج عن كل نظام ، وكل تطرف في حقهم مقبول ، فلم نر والحالة هذه لنا من حق في حجز هذا المقال ، وغاية ما هنالك أنا ننشر على صفحات المجلة كل ما يرد علينا من الكتاب الافاضل في الموضوع من غير تدخل منا في شيء من ذلك .

والحق أن الحالة الادبية في وسطنا المنكود تبرر هاته المفاجأة العنيفة من قبل الناقد الخبير ، فقد أعيانا الشعراء ، وقد أعيانا

الادباء ولا بد من ثورة تدفع عن هاته الديار الطيبة كل ما يقلق الراحة بين مناظرها البهيجة من شعر ميت وأدب فارغ .

وبعد هذا فلنا كلمات : فان الكاتب البارع أشار الى سلسلة مقالات لنا تحت عنوان (أبحث عن شاعر...) قطعناها بعد المقالة الثالثة وانتقد علينا ذلك ، والجواب : أنا كنا نقصد بتلك الكتابات أغراضاً محصورة كالقضاء على الالقاب وفتح باب النقد ، وقد كفى ما كتبناه للحصول على ما كنا نقصده من الاغراض ، ومن خطتنا كلما تم المراد من شيء ذهبنا الى غيره ، كما سبق لنا بيان ذلك في العدد الخامس عشر .

وانتقد أيضاً على رصيفتنا « السعادة » الغراء استعمال الالقاب في غير محلها واهتمامها باخبار لا تروقه ، و« السعادة » اذا قوبلت بغيرها من الجرائد الرسمية في البلاد الاخرى فانها تفوق كثيراً منها من جميع الوجوه ، على أن جل القراء يهتمون باخبار الوفيات والتوسيات والاسفار اكثر من اهتمام كاتبنا بالشعر وذويه طبعا ، وكيفما كان الامر فان الكتابة في رصيفتنا من قبيل السياسة والرجاء من مساعدينا الافاضل أن يتباعدوا قدر المستطاع عن ذلك لما يعلمون من أن هذه المجلة لم يبق لها تدخل في السياسة بوجه من الوجوه .



هذا وقد شاءت الظروف أن يتلقى الصدمة الاولى من النقد رجال يعرفون النقد ويتحملونه بصدور رحبة ، فان الشريف الجليل مولاي عبد الرحمان بن زيدان من عظماء الايالة الذين لم ينفروا من الجديد وأعانوا على الحركة الاصلاحية باقدام جدير بكل اكبار ، وهو من الرجال الافذاذ الذين يحق لنا أن نفتخر بهم ونفاخر ، فنقد شعره لا ينقص من قدره ولا يحط من منزلته ، والعلماء عادة لا يحسنون الشعر واذا تعاطوه فانما يقصدون به التسلية واراحة النفس من عناء المطالعة والبحث ، وانما نقرؤ نظمهم لما يشتمل عليه من الارشاد والحكمة تارة وللتبرك أخرى ، على أن من بينهم من برعوا في الفن واجادوا فيه كالقاضي عياض ومن جملة أبياته :

أنظر الى الزرع وخاماته
تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة
شقائق النعمان فيها جراح

وكذلك للعلامة المؤرخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان في بعض المواطن شعر رائع .

وأما الفقيه السيد عباس الشرفي فوظيفه لا دخل له في الموضوع ولعل الكاتب أشار اليه على سبيل المهازحة لا غير ، وقد كان الفقيه تقلب في خطط سامية آخرها رياسة المحكمة العليا بالاعتاب الشريفة وفي جميعها كان مثال الحزم والنزاهة والعمل ، وهو من كبار الادباء الذين يشهد لهم بالفضل والمقدرة ، واذا قال الشعر فعن عقيدة صادقة ، والعقيدة تكمل ما يلاحظه الناقد البصير من النقص في الصناعة .

هذا وقد نرى الشعراء منذ عامين يخرجون في القصائد المولوية عن المسطرة القديمة ويتقدمون الى ما يتمناه الكاتب — من جملة ما يتمناه — من طرق المواضيع التي تلائم العصر والاحوال ، فقصيدة العلامة معمري في الحفلة الاخيرة تناولت في بعض أبياتها باب الاحسان واعانة الضعفاء ، وقصيدة العلامة ابن زيدان عرجت على بعض الشئون الحالية الشاغلة للافكار .

فليخفف اذاً صاحبنا الفاضل «الوطأ» وانا لفي انتظار المقالات التي وعدنا بها وعد الكرام على أحرّ من لهجته الصادقة .

حماية المنتوجات الوطنية

منذ أشهر اهتمت الدوائر رسمية وغير رسمية والجرائد والمجلات اهتماماً عظيماً بمسألة حماية الصنائع الوطنية من مزاحمة البضائع الاجنبية[1] ولشدة اهتمامي بالموضوع أريد أن أكتب كلمات أضيف بها صوتي وان كان ضعيفاً الى صوت من تكلم وكتابتي لما كتب راجياً من كل كاتب وصحفي وتاجر وصانع أن يقوموا بالواجب كل بما في وسعه لانجاز الفكرة واخراجها من حيز القول الى العمل. فعلى الكاتب بالكتابة والارشاد وعلى الصحفي النشر والدعاية وعلى التاجر التشجيع وعلى الصانع الاتقان في العمل ، وعلى العموم بعد ذلك الاقبال على كل ماهو وطني وعلى الحكومة مساعدة وشد ازر الجميع لما فيه نفع البلاد ومستقبلها.

يجب لحماية المصنوعات الوطنية حمايتان: حماية داخلية وحماية خارجية ، وقبل أن نبحث في الحماية الخارجية التي نحن بصددها والتي ننشدها جميعاً يجب أن نعتني بالحماية الداخلية وتثبيتها وتعضيدها بتحسين حالة الصنائع وتنظيمها وابعادها عن الغش والفساد واعطاء كل صانع حق مصنوعه من التفنن وانتقاء المواد الاولية لصنعها واتقانها وحسن تتميم ما يعبر عنه بـ(التحسين النهائي) واثبات الانواع على اصولها من دون تغيير الا بتحسين. أما ما عليه صنائعنا ومصانعنا فان حالتها آئلة الى الاضمحلال ، وليس في ذلك تشجيع المزاحمة الاجنبية والاقبال على بضائعها فقط بل ان فيه أيضاً القضاء المبرم على ترويج بضائعنا ونشرها في الداخل والخارج ، واذا لم يحصل تدارك فعلي عدمنا الاسواق الداخلية مثلما عدمنا الاسواق الخارجية وكل الطالب وتقهقر الفني والصانع وسقط المصنوع ، ولقد خسرنا اسواقاً مهمة في هذه السنين الاخيرة بسبب عدم اهتمامنا بتحسين بضائعنا وترقيتها ، حالة أن أهل الحرف وأرباب الصنائع يتسابقون الى الخفض والنقص في مصنوعاتهم مزاحمين بعضهم البعض في الانحطاط في المصنوع للوصول الى النقص في القيمة ، ولا نحتاج الى ذكر ما وقع قديما بل نكتفي ببعض ما هو معروف عند الجميع مثل ما كان يوسق من بلادنا الى مصر وطرابلس وبقية افريقيا الشمالية من السلع والمنسوجات الصوفية ، وكان المغرب يستفيد عشرات آلاف من « اللبرة » شهرياً من تلك الاسواق ، وبسبب الغش وعدم اهتمام أرباب الصنائع بمستقبلهم انسدت تلك الاسواق في وجوهنا كلياً ، واقرب من ذلك – وما بالعهد من قدم – بلاد السنغال والسودان المجاورة لها كنا نرسل اليها من البلغة باختلاف انواعها للنساء والرجال والصبيان ومن الملابس المصنوعة عندنا كذلك ما يقدر بعشرات الملايين التي كانت تاتي كلها ليد الصانع وبها يعيش ومعه حياة الحركة التجارية ، وبسبب فساد ما كان يوسق من بلادنا فرغم ما لاهل السودان من الرغبة الاكيدة في بضائعنا لم يبق لهؤلاء سبيل للاقبال عليها ، ولم يقف بنا الحد عند ذلك في المصنوعات بل ان البضائع الطبيعية أي المواد الاولية وقع لها مثل ما وقع للمصنوعات ، فالصوف

(١) بسطت القضية في مقال بـ« مجلة المغرب » تحت عنوان (بالاقتصاد ، حياة البلاد) وظهرت بعد المقال حركة نافعة لفائدة الصنائع الوطنية واللباس الوطني ثم المذاكرات الدولية الجارية الآن. (عدد ١٦)

مثلا كان يوسق منه من المغرب الى اوربا قدر له بال ولكن لم يقتصر على اهمال غسله وتنظيفه كما يجب بل تفنن التجار والمنتجون في اعمال الغش فيه وافساده حتى أدى الامر الى اعراض أرباب المعامل عنه واتفاقهم على عدم استعماله كلياً وعرف الصوف المغربي برداءة الاصل وصار لا يساوي في الاسواق الخارجية شيئاً يذكر ، والى القراء لمعرفة مقدار ما خسرناه قائمة عن بعض السنين الاخيرة على أني لا أنكر ان الاحوال بسبب الازمة العامة اثرت في ذلك كغيره ولكن تاثير الازمة في القيمة لا في الجودة وعدم الاقبال بالكلية كما وقع في هذا :

السنة	العدد بالمليون
١٩٢٧	٧٥
١٩٢٨	٧٤
١٩٢٩	٣٠
١٩٣٠	١٤
١٩٣١	٧
١٩٣٢	نصف مليون ٠١/٢

ولا نريد أن نطيل الكلام في هذه الاشياء فهي معروفة ومشهورة ورغم تأثيرها السيء المباشر على عموم الاهالي فان الناس لم يتنبهوا الى ايقاف ضررها العظيم والى اتخاذ طريقة تحي بها الصنائع الاهلية التي هي كفيلة بحياتهم والا فقد تصبح عشرة آلاف دون عمل ولا مال وتعم البطالة كثيراً من طبقات الامة ، ولنا الرجاء في ان الحكومتين الحامية والمحمية تتداركان الخطر في اوله ، ويجب ان أقول هنا كلمة حق ، وشكر واجب عن قيام ادارة الفنون بالعمل الحثيث للمحافظة على الصنائع الاهلية والمجهودات العظيمة التي بذلتها باعانة رئيسها الم. ريكار في هذا السبيل فقد كان لذلك الأثر الحسن في المهن الراجعة اليها ولقد تكون النتيجة اعظم لو كان نظام ومراقبة لسائر الصنائع وضبط فعلي يوقف كل شيء في حده ويجعل المصنوعات الاهلية في حل من الغش وفي أمن من التزوير والتقليد والالتباس .

وأما الحماية الثانية وهي الحماية الخارجية فان امرها — يقولون — منوط بعقد الجزيرة ومحصور في (الباب المفتوح) . نقول ان عقد الجزيرة لم يستعبد المغرب بالباب المفتوح بامتياز مؤبد لخاصة الدول الموقعين عليه ، بل كان القصد منه فتح الباب لادخال تجارة سائر الدول وتجارهم على حد السواء دون امتياز لواحدة عن اخرى وبذلك حصل اتفاق عن قواعد وتعريفة عامة على القيمة (ادفلوريم) للجمرك تناسب الحالة الحاضرة اذ ذاك ومطابقة لما كانت عليه الجمارك بديوانات سائر الممالك فجل تلك الممالك كان عندها الباب المفتوح لتجارة الغير وبضائعه لان حالة التجارة والمزاحمة لم تكن كحالتها الآن ، ومن جملة الدول انجلترا لم يكن عندها الباب المفتوح فقط بل كانت ديوانتها بدون جمرك وكان ادخال سائر بضائع العالم بدون اداء الا على امور خاصة مثل الكحول والشاي والدخان والمخدرات وشبهها وانما تكتفي بما يدخل لبلادها على سبيل النقل (طرانزيط) حيث كانت لندن هي مركز التسيير لاطراف المعمورة فكان ماينوب انجلترا من ارباح النقل في البواخر والسكك الحديدية واشتغال البوسطة والتلغراف والابناك واتيان التجار وارباب الاموال لتأسيس المتاجر وفتح المصارف له بال وكانت تستفيد منه مادياً ما لا يستهان به زيادة عن امتلاكها بذلك مراقبة الحركة التجارية العالمية وما يترتب عن هاته المراقبة سياسياً وأدبياً ، واليوم انجلترا نفسها لما فقدت جل الاسواق بكثرة المزاحمة وكثرة المنتوجات ولم يبق في استطاعتها وسق نصف ما كانت توسقه من قبل ولم تبق لها مزية النقل (طرانزيط) وحدها اضطرت الى جعل ديوانة وجمرك كباقي الدول

واتخذت وسيلة لحماية البضائع الوطنية بطريق الديوانة سداً وحصناً لما بقي لديها من التجارة الداخلية ولا تمنح للتجارة الخارجية الا بقدر ما تستفيده منها — سياسة مبنية على قاعدة التوازن والتبادل بدون أدنى مسامحة ولا تفاضل، وكذلك مصر كانت بها تعريفة عمومية بقدر القيمة ٨ في المائة مثلما عندنا ١٢،٥٠ ، أما الآن فقد غيرت ذلك وتأسس ضابط جديد مبني على حماية المصنوعات الاهلية من مزاحمة البضائع الاجنبية وتعريفة معتدلة جداً على كل ما ياتي من الخارج كالمواد الاولية أو ما هو ضروري لحياة أهل البلاد ويستهلك منه قدر كبير ، وهكذا الامر في سائر الاقطار فان ضوابط الجمارك والتعريفات وسياجات الحماية لم تكن عندها كما صارت عليه بعد الحرب الكبرى جريا على مقتضى التطور مع الظروف والاحوال ، رغم المعاهدات والاوفاق السابقة ، ولهذا فانا لا نرغب في ابطال الباب المفتوح فانه رحمة لنا ما دمنا نشتري أكثر مما نبيع ويدخل لبلادنا من المصنوعات أكثر مما نصنع وانما نريد من مقتضيات الواجب والعدل والانصاف في دائرة الباب المفتوح أن نعامل بالمثل وأن تكون كل مملكة فتحنا في وجهها الباب تفسح لبضائعنا بقدر ما نفسح لبضائعها وأن تجري الاحوال في ذلك على خطة توازن التبادل التي هي حيوية لكل دولة وكل أمة سيما في هذا العصر الذي عمت فيه هاته الخطة سائر الاقطار .

فاذا نظرنا الى احصائية الصادر والوارد ببلادنا ونصيب كل دولة في الموسوق والموضوع وجدنا أن فرنسا تبيع لنا ٤٥ في المائة من مجموع ما نشتري من الخارج وتشتري منا ٦٥ في المائة من مجموع ما نصدره ، وبعدها نجد في تناسب قدر ما نشتري وما نبيع اسبانيا وايطاليا ، وبلاد اليابان فيما نشتري من الخارج هي الثانية بعد فرنسا فان مقدار ما نستهلكه من منتوجاتها يربو على مائة مليون من الفرنك سنويا من دون مقابل من الوسق ، وأميركا أيضاً نشتري منها أيضاً قدراً عظيما وما تأخذه منا شيء تافه لا يكاد يذكر ، ومثل أميركا جل الدول كبلجيكا وانجلترا والصين فانها تبيع للمغرب كثيراً ولا تشتري منه الا قليلا ، أما الدول التي تبيع لهاته الايالة ولا تشتري منها شيئاً فبعد اليابان ، تشيكوسلفاكيا ، وسويسرا ، وروسيا ، والحكومة الفضية الاميركية ، وغيرها .

إن فرنسا منذ ابتداء أزمة التجارة وتعذر المبادلة الاختيارية في الصادر ، تفتح بابها كل سنة لادخال قدر عظيم من منتوجات المغرب إلى اسواقها بدون أداء جمرك أو غيره ، فاذا قارنا ما نشتريه منها وما تاخذه منا وجدنا في ذلك عدلاً وإنصافاً بل هناك تسامح بالنسبة إلى غيرها، ولو أمكن المغرب أن يحصل من سائر الدول التي تتجر معه على مثل ما حصل عليه من فرنسا هاته السنة لكان من المستحيل أن تذكر كلمة أزمة على حركة بلادنا الاقتصادية ،

فمن الواجب أن يهتم المغرب بالحماية الخارجية التي يحتاج إليها اهتماماً زائداً وان يطالب الممالك التي تتمتع بنظامه الجمركي ان تعامله بمثل ما يعاملها به في تبادل المنتوجات ، فان بقاء هذه الممالك على استنزاف أموالنا بدون مقابل يصيرنا لا محالة عاجزين على الحركة ، فانه لا يمكن لامة أن تحافظ على كيانها الاقتصادي إلا إذا تعادلت لديها كفتا الداخل والخارج ، والمغرب يشتري من الخارج أكثر من مليار فرنك سنوياً ولا يبيع إلا ما يقرب من ستمائة مليون ، وإذا دام على الشراء من غير بيع يماثله أو يقاربه فالامر آئل لا محالة إلى الخلل والفساد، ولنا أمل وطيد في أن مجهودات ولاة الامر في هذا الصدد لا تلبث أن تكلل بالنجاح .

محمد المنجرة

الفقه الاسلامي

وعلماء الحقوق

(تابع) — الصفقة وشروطها

الشرط الثامن — يجب أن يكون البائع لم يظهر نيته فيما قبل ببيع حصته على حدتها وهذا الشرط البسيط في حد ذاته لم يقع في شأنه شرح طويل وأنما أشار اليه الفقيه السجلماسي في الصحيفة عدد ١٨٤ من كتابه حيث قال: من شروط بيع الصفقة أن لا يبعض من دعى الى البيع حصته نقله الشيخ ميارة أثناء جواب لسيدي عبد الواحد الونشريسي وشرح هذا الشرط بعبارة اوضح الفقيه ابن اليزيد البدراوي في المخطوط الذي وجهه لنا حيث قال: عدم تبعيض مريد البيع الصفقة وهو يصدق بوجوه احدها ان يبيع تمام حصته مفردة ثم ترجع اليه باقالة أو نحو ذلك ... فلا حق له في الصفقة بذلك ، ثانيها أن يبيع بعض ما يملكه ويترك البعض ثم يحتاج للبيع فليس له صفقة الخ ، وما أشبه هذا الشرط بالمثل اللاتيني المشهور : اذا وقع اختيار مسطرة شرعية فلا يجوز الرجوع الى اخرى .

الشرط التاسع — يجب الا يكون المشتري شريكا من الشركاء ، وقد أدى الحال بفقهاء الاسلام الى ادخال هذا الشرط في عدد الشروط اللازمة لصحة الصفقه اعتماداً على ما ياتي بيانه وهو انه لا يتصور من الانسان شراء شيء وهو في ملكه والحالة أن هذا هو نفس ما يقع اذا كان المشتري في بيع الصفقة شريكا من شركاء البائع اذ في شرائه للكل شراء حصته الشخصية ، ولكن هل يوخذ من هذه الملاحظة الحكم بالغاء الصفقة فيما يتعلق بالكل في هذه الصورة ؟ ان الحكم بهذا لا يتفق مع مراعاة ارادة الفريقين التي يعتبرها الشرع الاسلامي كالشرط الاهم في العقود لان العقود في الفقة الاسلامي لا تنبني الا على المراضاة ، ولهذا أذكر الاجوبة المختلفة التي قررها فقهاء الاسلام فيما اذا وقع بيع لا حد شركاء البائع :

الصورة الاولى — باع شريك بالصفقة لاحد شركائه جميع الملك المشاع بينهم ووافق الشركاء الاخرون على البيع فتلك المصادقة تثبت صحة البيع ، قال في شرح العمل الفاسي ص ١٨١ : وان كان البيع لاحد الشركاء فان اراد بقيتهم البيع فلا اشكال .

الصورة الثانية — وقع بيع بالصفقة كما ذكر اعلاه وكان المشتري احد الشركاء وضم الشركاء الباقون الذين لم يبرموا عقدة البيع فيجري الامر كما اذا كان البائع لم يبع الا حصته وتصير المسألة صورة من صور الشفعة لا من صور الصفقة فشركاء البائع يعتبرون عند اختيارهم الضم كانهم شفعوا حظ البائع والحظ المذكور يقسم بينهم وبين المشتري على نسبة حقوق كل منهم كما ذكر ذلك السجلماسي ص ١٨١ حيث قال: وإذا أراد بقيتهم (أي بقية الشركاء) الضم (أي الشفعة) قسم نصيب البائع على المشتري وغيره من سائر الشركاء على حصصهم .

الصورة الثالثة — كما تقدم في الصورة اعلاه وقع بيع الصفقة لاحد شركاء البائع فصادق فريق منهم على البيع واختار الفريق الاخر الضم ، تحل هذه المسألة بكيفية تقارب ما ذكر في الصورة السابقة فيقدر البائع والفريق المصادق على البيع كأنهما لم يبيعا الا حظوظهما وأما المشتري والشركاء الذين أرادوا الضم فيدعون الى قسمة الحظ المبيع بينهم على نسبة حقوق كل واحد ، ففي هذه المسألة انقلبت صورة البيع بالصفقة الى بيع حظوظ مشاعة عقده

بعض الشركاء وضمه الاخرون وهذه هي صورة الشفعة نفسها ، وقال العلامة السجلماسي في شرحه للعمل الفاسي ص ١٨١ : واذا أراد بعضهم (أي بعض الشركاء) الضم وبعضهم البيع قسم نصيب البائع ونصيب من أراد البيع من الشركاء على المشتري ومن أراد الضم منهم (على نسبة حظوظهم وهذه هي القاعدة الجارية في الشفعة) .

الصورة الرابعة — كما تقدم في الصورتين اعلاه وقع بيع بالصفقة لا حد شركاء البائع فاختار فريق من الشركاء المصادقة على البيع وامتنع الفريق الاخر من المصادقة والضم فكيف تحل المسألة ؛ تحل المسألة وفق القاعدة المبينة اعلاه اذ مهما كان المشتري أحد الشركاء فلا محل للصفقة الحقيقية ، قال السجلماسي في ذلك ص ١٨١ وص ١٨٢ : لو كانوا (أي الشركاء) خمسة فباع واحد منهم لثان صفقة فقام ثالث واراد البيع وامتنع الاثنان الباقيان فلا يجبران على احد الامرين الضم أو البيع بل على الشفعة او اسقاطها ، ثم قال بعد ذلك : لأن الشريك لا يباع له الا ما يملك غيره لا ما يملكه هو كما تقدم في الجواب اعلاه واذا لم يبع له الا ما يملك غيره فالمبيع له البعض لا الكل فالمسألة من باب بيع الشفعة لان المبيع البعض لا الكل والله أعلم ، وان الشريكين المتنعين من الضم والبيع من الشركاء المذكورين قبل هذا الفرع يليه لا يجبران على بيع ولا ضم.

ان تحليل هذه الشروط التسعة يبين الكيفية الصعبة التي كانت عليها الصفقة في أول الامر ، فاذا ما تذكرنا أن الصفقة كانت في الاوائل متوقفة على اذن القاضي وكان من الواجب على المشتري ان يثبت لديه توفر الشروط المفروضة سهل علينا أن نرى تلك الحدود الضيقة التي كانت حائطة بها من كل جهة .

ومع ذلك تشتمل الصفقة من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية على تسهيلات استثنائية لما تسمح به للشريك الذي يريد بيع حظه من اجتناب البخس الذي يلحق غالباً كل بيع اجباري كما تسمح لشركائه بالاحتفاظ على حظوظهم المشاعة بطريق الضم ان أرادوا ذلك فالمصلحة العامة تقضي اذاً بتوسيع نطاق الصفقة وبالتخفيف تدريجاً من تلك الشروط العديدة التي تجعل استعمالها من اصعب الامور وقد اتجهت الحركة الفقهية نحو هذه الغاية رغماً عن مخالفة الجهود التي بذلها الفقهاء المحافظون على الاصول حتى انه في اواخر القرن التاسع بعد مرور خمسة قرون قضيت في المذاكرة والابحاث لم يبق من جميع الشروط المفروضة الا شرط واحد وهو الشرط السابع المتعلق باتحاد المدخل .

***

هذا ويندر من أصاب من أولئك العلماء لعدم معرفتهم تماماً بدقائق اللغة العربية ومغازي الروح الاسلامية ، فبعضهم أخطأ في الترجمة وبعضهم لم يات بالحقيقة في التأليف ونشأ عن ذلك اشاعات فاحشة واذاعات فاسدة في الاوساط الاوربية ومن ذلك جعل الزواج الاسلامي عند بعضهم بمثابة بيع محض الحليلة كالمبيع والبعل كالمشتري والصداق كثمن البيع ، وأقول أن المسؤل بهذا هو الشباب الناهض الذي له المام باللغتين العربية والفرنسوية فيجب عليه مهما أمكن أن يترجم للغة الفرنسوية كل ما يتعلق بحياتنا الروحية والمادية قديمها وحديثها ويؤلف في هذه المواضيع الغزيرة الفائدة ما تسمح به قريحته اشهاراً للحقيقة وإظهاراً لما يشتمل عليه التمدن الاسلامي من جميل الافكار وشريف المبادئ ، وفي الختام أشكر الاستاذ المسيو بيل على خدمته القيمة وخالص انصافه وأرجو من اخواني المغاربة أن يقتفوا أثره وينقلوا الى اللغة الفرنسوية تلك الكنوز الفقهيه التي كدّ عليها أسلافنا الكرام قروناً طوالاً

الاحبـاس

توصلنا من ادارة الاحباس بالبلاغ الآتي :

في يوم السبت متم شهر جوان على الساعة العاشرة ونصف صباحاً وضع صاحب الجلالة الشريفة بيده الكريمة الحجرة الاولى لبناء المسجد الجديد بالقرية الجبسية بالدار البيضاء .

وقد مرت الحفلة على أحسن حال ، وشارك بالحضور فيها جمهور غفير من الناس في مقدمتهم صاحب الدولة الصدر الأعظم والسادات الوزراء والرؤساء ، وكتاب المخزن الشريف وسيادة الباشا وخلفاؤه وفضيلة القاضي وسائر اعيان المدينة والناحية .

وبعد ان افتتح فضيلة القاضي الكلام وخطب خطبة بليغة في الموضوع امام الجناب العالي تقدم جلالة السلطان ووضع الحجرة الأولى ثم رجع إلى قصره المنيف ، محفوفاً بحرسه الشريف .

وسيسمى المسجد الجديد باسم صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف وقد تحتوي مساحته على ٣٨٠٠ ميتر مربع ، ويمكن أن يضم بين رحابه عدة آلاف من المصلين، وسيكون من حيث شكل بنائه واتساع ارجائه كجامع الكتبية بمراكش الحمراء .

كما أرجو منهم ألاّ يقفوا عند هذا الحدّ بل يعرّفوا الى مواطنيهم أهم ما احتوى عليه التمدن الفرنسي من علوم الحقوق وغيرها ، ولا شك أن هذا التبادل العلمي يكون سبباً فعالاً لامتزاج المدنيتين وللتعارف بين الامتين فيقوم العلم الحق مقام الجهل المذموم ويحل الاحترام والوداد محل التنافر والبعاد . (الباحث)

آدابنا العربية (1)

للاستاذ عبد القادر المغربي

من كتابنا المعاصرين طائفة حديثة النشأة اتخذوا لانفسهم طريقة جديدة في الكتابة ترتكز غالباً على الادب الافرنجي ، وتحتذي مثاله في الاسلوب الانشائي .

وأنا أرى أن هذا لا يضر آدابنا العربية بل هو اقتباس أو تطور طبيعي في لغات الامم وآدابها : فان بعضها يقتبس من بعض اساليب كما يقتبس الفاظا .

لكن هؤلاء المجددين أفرطوا في انتحال اساليب الافرنج وا كثروا الغض من أساليب كتابنا الاقدمين ، الى حد أن عطلوا — أو كادوا يعطلون قواعد اللغة العربية : فهم لا يبالون نحوها ولا صرفها ولا يتكلفون عناء مراعاة هذه القواعد في خطبهم وكتاباتهم ، بل ذهبوا الى أبعد من هذا : فزعموا أن كل كلمة عربية مجها ذوقهم وجب أن تموت ويخلفها من كلمات الاعاجم وتعابيرهم ما شاءوا وأحبوا .

وكنت منذ ربع قرن صنفت كتاباً سميته (الاشتقاق والتعريب) جوزت فيه ما جوزه أدباؤنا الاولون من استعمال الكلمات غير العربية في الكلام العربي وأثبت أنها لا تخل بفصاحته ، ولا تنزله عن درجة بلاغته ، ثم اني كدت أندم على هذا التأليف اذ بلغني أنه أصبح أداة بيد بعض المجددين فاتخذوه حجة لمذهبهم في اصطناع الكلمات الاعجمية بمقياس أوسع مما كنت قررته في كتابي المذكور .

ولا يخفى أن أدباءنا الذين كتبوا في فن البلاغة أختلفوا في بلاغة الكلام وفصاحته أمرجعها اللفظ أو المعنى ؟ فبعضهم جعل استجماع شروط الحسن في اللفظ هو معظم الفصاحة وجمهورها ، وقد راجت هذه الفكرة من بعد عهد الجاحظ ، ونفق سوق الكلام المضروب على غرارها أيما رواج ، ولا سيما في أواخر القرن الرابع للهجرة أي في عهد ابن العميد وتلميذه الصاحب ابن عباد .

وبقيت طريقة هذه المدرسة اللفظية — أي التي يعتني فيها بتجويد اللفظ — سائدة في بلاد العرب وفي دواوين ملوكهم الاعاجم حتى كان خاتمة أئمتها القاضي الفاضل في أواخر القرن السادس .

ثم من بعد هذا العهد أفل نجم فن البلاغة وأظلم البيان العربي وأصبحت الكتابة فيه صناعة لفظية محضة ، لا تعبر عن نفسية الكاتب ولا تميز شخصية أديب عن شخصية أديب آخر ، وانما أصبح كل من كتب تقريباً (فنوغرافاً) يحكي لنا صدى أفكار المتقدمين ويسرد علينا تعابيرهم بتغيير طفيف .

(1) الثقافة

وهذا ما حمل ادباء الافرنج على نقد آدابنا العربية بالجملة، والازراء بكتاباتنا الادبية من دون تفريق، حتى قالوا: انها الفاظ ترن وجعجعة من دون طحن.

مع أن بلغاء كتابنا الاقدمين الى عهد الجاحظ ما كانوا يقيمون للالفاظ وزنا كما فعل من بعدهم: فكانوا يرون أن البلاغة هي المعاني الجميلة الخلابة التي تلبس من لبوس الالفاظ القدر الذي يناسبها. ولا يكون فضفاضاً عليها، ولعل الجاحظ من ارباب هذا المذهب: فهو لا يبالي الالفاظ والتأنق فيها والتكلف بها، بل يرسلها كيفما اتفق من دون تعمل ولا تكلف، وكأن سجاحة الالفاظ في عبارة الجاحظ وخلوها من التأنق وتكلف الاستعارة والمجاز والكناية وافانين الصناعة اللفظية اصبح امره متعالماً مشهوراً حتى للمتقدمين من ادبائنا، فالبديع الهمداني جعل في مقاماته المشهورة مقامة سماها (المقامات الجاحظية) ضمنها نقد اسلوب الجاحظ من حيث سجاحة الالفاظ وارسالها على سجيتها وقلة الصناعة اللفظية فيها...

ولا نسمح لانفسنا ان نقول: ان حسن الالفاظ لا شأن لها في البلاغة والفصاحة وانما نقول: ان الافراط في التأنق ومراعاة الصناعة اللفظية يؤدي الى التكلف والاحالة وان الاهتمام بانتقاء الالفاظ والحرص على حشرها في الكلام يلهي السامع عن تعقل المعاني فيضطرب فهمه وتنقطع سلسة تفكيره، ويفقد الكلام قوة تأثيره، واذا ضاع التأثير ضاع كل شيء.

فالمعاني طيور، تحملها أجنحة الالفاظ الى اوكار الاذهان، فاذا لم تكن الاجنحة خفيفة مرهفة، بل كانت كثيفة مثقلة بضروب الزينة والجمال المصنوع، ثقلت الاجنحة فوقع الطائر دون الغاية، فلنجتهد اذن في ان تكون اجنحة الفاظنا كأجنحة الطيور، والا عجزنا عن ايصال المعاني الى الافكار، والطيور الى الاوكار...

— النادي الادبي الاسلامي —

اجتمعت الجمعية العمومية للنادي الادبي الاسلامي السلاوي يوم الاحد ثاني ربيع الثاني الموافق ٩ يليوز بمقرها بمدرسة الاعيان وجددت انتخاب المجلس الاداري فاسفرت الانتخابات على النتيجة الآتية بتعيين السادات:

الرئيس: الحاج محمد علي عواد ـ نائب الرئيس محمد حصار ـ الكاتب: الصديق عواد ـ مساعد الكاتب: عبد المجيد حجي ـ أمين الصندوق: عبد الله الزواوي (جدد انتخابه) ـ مساعد امين الصندوق: رشيد زنيبر ـ قيم الخزانه: مولاي محمد الصابونجي (جدد انتخابه) الاعضاء المستشارون: عبد الكريم ابو علو، وعمر عواد، وابو بكر القادري، وعبد الرحيم ابو زيد.

فنرجو للمجلس الاداري الجديد كل نجاح وتوفيق.

إرشادات صحية

الزائدة المعوية [1] APPENDICITE

من اسمها نستدل أنها ليست عضواً عاملاً بل بقية أو أثر عضو كان عاملاً فيما مضى واستغنت عنه الطبيعة لعدم لزومه، على أن بعض الاطباء يعتقدون أن له افرازاً خاصاً يؤثر على حركة الامعاء الغليظة، ولوجود نسيج ليمفاوي داخلها يشبه نسيج بنات الاذن سميت ابنة الاذن البطنية، ومن الغريب ان البعض يلاحظون ان التهاب الزائدة يتأتى احياناً من الروماتيزم، وهذا المرض له علاقة ببنات الاذنين أيضاً، ان هذه البقية العديمة النفع كما نعلم حتى الآن قد يكون لها نفع لم نتوصل الى معرفته، وكثيراً ما تكون سبب الموت الزؤام، ولشدة الوهم المتسلط على العموم في هذه الآونة بسبب التهاب الزائدة واخطارها كثيراً ما تقضي على حياة غير المصابين بها لتعرضهم الى عملية بدون لزوم، ومعلوم أنه لا توجد عملية مهما كان نوعها بدون خطر البتة سواء كان بتأثير البنج أو عدم المدافعة في الجسم بسبب بعض امراض ظاهرة أو مخفية أو بطريق تلقيح الميكروب بالجرح عن غير قصد فيلتهب البريتون ويقود الى الموت في بعض الاحيان.

ولا ابالغ اذا قلت ان أكثر من نصف الذين يعرضون انفسهم للعملية هم غير مصابين بالتهاب الزائدة بل يشعرون باعراض تشابه بعض اعراض الزائدة وقد تكون من مرض آخر أو نتيجة وهم فقط، وخيرٌ للمرء أن يكون جاهلا اعراض الزائدة من أن يكون عنده بعض الالمام باعراضها فقط اذ يحسب كل عرض مؤلم متأتياً عن التهابها.

والتهاب الزائدة يظهر في كل الاعمار انما تراه اكثر ظهوراً في سن الخامس عشرة الى سن الثلاثين وقد يكون نادراً بعد الاربعين وقبل الثلاث، يظهر هذا المرض في الذكور اكثر من الاناث بنسبة ٤ ـ ١ ويظن ان للوراثة تأثيراً عليه على نوع ما لأننا نجد عدة افراد من عائلة واحدة مصابين به.

[1] مجلة الشرق.

يوجد عدة امراض ذات اعراض تشابه بعض اعراض التهاب الزائدة ، فعلى الطبيب أن يتحقق ويفرق جيداً بين أحد هذه الامراض والتهاب الزائدة . وأذكر قسماً منها على سبيل المثال :

١ً : مغص في الكلى ، ٢ً : مغص في الكبد أو المرارة ، ٣ً : حبل خارج الرحم ، ٤ً : صديد في قناة المبيض ، ٥ً : سرطان في الاعور ، ٦ً : التهاب المعى ، ٧ً : التهاب البريتون ، ٨ً : كلى متحرك أو ساقط ، ٩ً : رشح مخاطي في الاعور ، ١٠ً : عقدة مصران ، ١١ً : التهاب البنكرياس ، ١٢ً : في بدء مرض ذات الرئة قد نظهر اعراض شبيهة بالتهاب الزائدة ، ١٣ً : نوراسيتنيا ، ١٤ً : قبضٌ مستعص وغازات في المصران .

اذا تحقق الطبيب أن الزائدة ملتهبة فالعملية لاستئصالها هي خير علاج لها ، فاذا كانت حادة فالعملية يجب أن تكون ضمن ٤٨ ساعة الى ثلاثة أيام على الاكثر واذا لم يكن ممكناً فيجب التريث وان تتعالج حتى يمضي دور الالتهاب الحاد أي لمدة عشرة أيام تقريباً لان العملية بين هذين الحدين مخطرة جداً .

اذا كان الالتهاب مزمناً ويحدث في بعض الاحيان حرارة في الليل فاستئصال الزائدة واجب ليلا تسبب التهاباً حاداً ، أما ما سوى ذلك فلا يجب أن يتعرض العليل لخطر العملية ، وقبل الاقدام على العملية يجب فحص الجسم والدم والبول لنرى اذا كان العليل يقدر أن يقاوم صدمة البنج أم لا ، فاذا تبين ان الجسم يقدر على المقاومة فالعملية هي الاكثر نجاحاً للسلامة من خطر التهاب الزائدة ، أما اذا لم تتحقق التهاب الزائدة أو أن العليل لا يقدر على المقاومة لاخطار العملية فلنترك العليل لعناية الطب فقط لان الجراح عوضاً عن ان يسلم العليل معافى الى أهله يسلّمه اذا قدّر له الحياة بعد العملية على حاله السابقة يتألم ويلعن الجراحة والطب ، فعلى الطبيب أن لا يضع السكين حيث يجب وضع الدواء ولا يصف الدواء حيث لا بد من المبضع وعليه أن يدرس حالة كل مريض الدرس الوافي ليسير على نور في الطريق الاسهل والاسلم ليوصل المريض الى حظيرة السلامة واذا بطل الهوس من المريض والطبيب قلّت كمية العمليات وتناقصت أخطار الموت نقصاً محدوداً .

الدكتور الياس خير

حول رياضة السباحة

نسر كثيراً عند ما نشاهد شبابنا الناهض يتسابق الى حومة البسالة والبطولة مما يفسح امامنا مجالا واسعاً لآمال طالما ضاق الصدر بها يأسا وقنوطاً اذ أصبحت كتلات اليوم تطمح عن شعور متحمس الى ما يبعث فيها قوة وجلداً ويكسبها شرفاً ومجدا فهي تبحث بكلها وكلكلها عن الوسائل الموصلة لجعلها خير خلف لخير سلف عاملة على الاكتساب لاعلى الانتساب موقنة ان المرء بمحصوله لا بأصوله وبمجهوده لا بجدوده تريد تحقيق العصامية فيها نجح الله آمالها ، نعم كان سلفنا الصالح المثل الاعلى والنموذج الكامل في التمرن على استمداد القوة واكتساب البطولة فكان يخوض معامع عميقة من الرياضة يتدرب بها على دفع ما نزل وينزل من كوارث الايام وحوادثها حتى اذا فاجأت كان قد اعدَّ لها العدَّة مدافعاً عواصفها الفتاكة شأن العاقل فضلا عن الفاضل :

يمثل ذو اللب في عقله
مصائب من قبل ان تنزلا
فان هي قد نزلت لم ترعـ
ـه لما كان من قبل قد املا

ولقد لمح القلم لشيء من هذا في مقال سابق بيد انه الان يعود الى نوع خاص : (رياضة السباحة) ، وليس يخفى على من له ضرب من التميز ما للسباحة من المفعول المحمود في الابدان الضعيفة ، فقد كان الاقدمون يهتمون بها اهتمامهم العظيم لكونها تقوي العضلات وتنشطها دون ان تتعب البدن تعباً شاقاً ، وهي بدون شك من اقوى المروضات البدنية حيث انها تجمع بين الرياضة والنظافة فضلا عن انها تجعل الاستحمام بالماء البارد مقبولا عند

الاطفال حتى وعند الكبار ايضاً الذين لا يحسنونها ، ولا شيء ينشط القوى العضلية ويسكن الجهاز العصبي ويزيد في خفة ومرونة الانسجة مثل رياضة السباحة وهي رغم ذلك تهيج القابلية وتساعد على الهضم وتحسن تغذية البدن وتعدل وظائف الرئتين والقلب وتزيد في الصفات العقلية قوة ونشاطا زيادة على تنبيه الجلد وتنظيفه وانفتاح مسامه وكثرة مرونته ، فالسباحة والحالة هذه تفيد المهزولين (عكس ما كنا نسمع قبل من بعض المتطببين) وتفيد اصحاب المعى الضعيفة والمصابين بالامراض العصبية وترد النوم لاجفان المصابين بالارق كما يقول الدمشقي في الاخلاق .

وعلى السابح ان يتنفس بكل هدو وسكينة ويتصور ان الماء مستند طبيعي وان يترك الوهم والخوف جانبا ولا يلزمه ان يصلب اعضاءه كما يفعل الكثيرون عند ما يحاولون السباحة لاول مرة بل يلزمه ان يتراخى ويحرك ساقيه ويديه بكل تأن ، هذا ويخشى بعض الناس من غرق الاولاد على اني لا ارى عذرا للاباء في هذا الخوف فان الولد اذا غرق وهو يتعلم السباحة او غرق لكونه لا يحسنها فاللوم في الحالتين عائد على ذويه لانهم لم يراقبوه وقت تعليمه او لانهم اهملوا تعليمه بالمرة اما جهلا بالتعاليم الاسلامية الأمرة بذلك او اعراضاً عنها والامر لله ، وفي المثل الدارج الباعث على السباحة الحاث على تعلمها : (الذي يحسن السباحة له عمران) وانت خبير بقصة الملاح مع العالم النحوي مما يدفعنا لخوض غمارها والتضحية بجزء من وقتنا النفيس في الترويض على لجج المياه وتلاطمها لا علينا في المخاطرة اذ نعلم علم يقين ان من عرف ما طلب هان عليه ما وجد بيد انه ايها الشاب روض نفسك على السباحة لا على انك تقلد فيها أمة الافرنج عند ما ترى السواحل البحرية ملئ بالدكاكين المعدة لها بل على أنك تمثل سنة نبيك أبي القاسم صلوت الله عليه ذلك الطبيب الماهر والمشرع الاعظم الذي فعلها وأمر بالجري على مقتضاها .

وهنا اقترح عليك زميلي الشاب ان تعتام ظرفاً خاصاً للسباحة حتى لا أجدك في فوضى من الاباحية والتهتك اللذين يتحاماهما دينك المقدس وتتصادم واياهما المبادئ الاسلامية السمحة فأقول وخير القول ما كان حقاً : ان العاقل المفكر مهما يقع بصره على ذلك المنظر المخجل لدى المسبح الا ويأسف حازناً من جهة ويسر شيئاً ما من اخرى . . . والاسلم من ناحية الطاهرة الدينية والنزاهة الاخلاقية ان تحول الاتجاهات عن هذا السم النافع الذي ينخر فينا بسريانه في شرايينا فتختار التغليس بالسباحة والتبكير بها وبذلك نكون قد حصلنا على المصلحتين وأعظم بهما مصلحة البدن ومصلحة الدين في جو هاديّ من تكدير قداسة الاخلاق الطاهرة .

كما أرجوك عزيزي الشاب أن تطيل ذلك التبان (سراويل العوم) حتى يصل الى الركب ضرورة أن الفخذ من الرجل عورة ولا بد يوم بستره كما ورد عن الشارع الاعظم عليه السلام فكيف به من المرأة ما شاء الله وان تجعل من وراء التبان وامامه خرقة طويلة تضرب الى الركب ايضاً تحسم ما يخدش حتى تخرج في سباحتك من مأزق التحديد المشوه الملوث ، نعم ان كان اخي المغربي الحر دين غيرك يساعده على ما تراه ويخوله اياه فله دينه ولك دينك إربأ بنفسك ايها العاقل ان تلج ذلك الميدان وتنافس فيه غير مكترث لدينك ولا مقيم له وزنا ارجع الى تقاليده الحية وقد استه الحقة واعمل فالجو فسيح بين يديك وانشر مذكراً لعل الله يهدي بك رجلا وذلك منشود كل مسلم حي .

ومن اللطائف هنا ما يحكى ان صديقين نزلا للسباحة فابتعد احدهما عن الاخر حرصاً على التستر وجرياً على موجب الحشمة والمروءة فسبحا وبينما الامر كذلك اذ طلع احدهما والتفت باحثاً عن زميله فلم يجده اذ غرق فأنشأ هذا يقول :

يا بحر مالك قد اتيت بمثل ما
يقال (؟) فيك مخبراً بعجيب
الله اخبر ان فيك حياتنا
ولأي شيء مات فيك حبيبي

فلم يلبث ان طفا صديقه على وجه الماء حياً ، وبهذه اللطيفة واضرابها يتجلى تجاهك ما للرجال من الاهتمام بالاحتفاظ على الستر حتى انك تراه هنا قد ادى هذا الصديق الى التضحية بالغرق لانفراده عن اخيه بالسباحة وبهذا أيضاً يبرز امامك مثال صادق على الصداقة الحقة المنشودة .

الجراري

قول الكاتب الفاضل أن النبي صلى الله عليه وسلم «فعل» السباحة ليس لها فيما نعلم سند ، والسباحة وكل ما يصلح الجسد من سائر أنواع الرياضات أمر يتحتم تعميمه ، وما يرشد اليه المقال من التستر حسن على أن شدة التضييق – في نظرنا القصير – لا محل له هنا ما دام الشيء الذي يهم أولاً هو جلب الناس الى السواحل البحرية .

اخبار

– لصديقنا الفاضل الاديب المفكر السيد احمد الزبدي مكانة في القلوب يغبط عليها ومئاثر في سجل الانسانية يعرفها له كل الناس بسائر الجهات فهو من اعيان الرباط المحبوبين وكاتب الجمعية الخيرية الاسلامية الرباطية المشهورة بخدمتها للمعوزين والضعفاء .

وقد اكمل الله له النعمة واتاح له الحظ بالرحلة إلى الحجاز لاداء فريضة الحج فبلغ المامول وفاز بالغرض المقصود وزار القطر المصري وعرج في عودته على أرض الشام وجبل لبنان وفلسطين والبلاد التركية للاطلاع على شئونها واستفاد اشياء كثيرة كان في حاجة الى معرفتها واضافتها الى بقية معلوماته الواسعة وخبرته المشهورة وانتهى الى الممالك البلقانية وجل العواصم الاروبية مما لم يدركه الا القلائل من الرجال .

وقد كان يصحبه في رحلته ولداه المهذبان الحاج محمد والحاج التهامي .

ومن أعيان العاصمة الرباطيه الذين حظوا أيضا باداء فريضة الحج هاته السنة وانتهز الفرصة للتجول في البلاد الاسلامية والوقوف على أحوالها صديقنا السيد الحاج الفاطمي بركاش ونجله الاديب السيد الحاج مصطفى ، والسيد الفاطمي بركاش من رجالات المغرب المشهورين بالعمل المثمر والنزاهة والاخلاص .

فلهم جميعاً تهنياتنا بالاياب وتبريكنا لهم بالحج المبرور والسعي المشكور .

– فجع المغرب الاقصى بموت علم من اعلامه المشهورين وهو القاضي العالم والاديب الشهير الشيخ أبو بكر الشنتوفي فانهد بموته ركن من اركان الادب العربي الذي كان يغلب على هذا الرجل في سائر حياته واطواره وكانت الخسارة عظيمة والخطب جسيماً .

وقد سبق للفقيد ان تقلب في وظائف كثيرة نذكر منها انه كان سفيراً للدولة الحفيظية وعين بعد ذلك في خطط مخزنية آخرها توليته القضاء باحواز البيضاء الذي قضى فيه زمناً طويلاً ثم حدث ما أوجب تخليه عن العمل واخلاده إلى الراحة حيث صفاء الفكر من مجهود الاشغال

والعكوف على مطالعة الاسفار ونظم الاشعار .

وللرجل مكانة في الادب يقدرها له عارفوه فقد كان شاعراً مبدعاً وكاتباً بليغاً تذكرك كتابته ترسل القرطبيين والاشبيليين ويحاكي باسلوبه المنثور الفصل الذي كان يصدر عن مثل الفتح ابن خاقان وصاحب الذخيرة ابن بسام ، وقد ساعده على ذلك اضطلاعه الكبير بالادب العربي المتين وتوفره على ثروة فائقة من اللغة العربية الخالدة .

وإذا كان قد لقي في آخر حياته من عنت الحياة ومصائب الدهر التي لا يخلو الادباء الكبار من امثالها فهو لم يتزعزع ولم يستسلم لليأس قط فبقي صابراً محتسباً إلى أن لقي ربه راضياً ، فمع شدة ما أصابنا من الاسف العميق على موته وخسارة الادب فيه نتقدم إلى اسرته الكريمة وانجاله الابرار بتعزيتنا القلبية متمنين لهم الصبر والاجر وللفقيد الرحمة والغفران .

— في الشهر المنصرم أقامت البلدية بسلا المدينة التاريخية باقتراح من مراقبها الحازم الم. كبريلي حفلة انيقة بمناسبة تقليد الباشا الهمام العالم المطلع السيد الحاج محمد الصبيحي الوسام العلوي من رتبة التطويق ، وقد كانت الحفلة زاهية بحضور اعيان البلدة السلوية وشيوخها وشبانها الامر الذي يدل على محبة الجميع للمحتفل به وينبئ على مكانة الباشا في قلوب السلويين .

والباشا جدير بهذا العطف وخليق بهذا التكريم والتطويق الغالي الذي حازه عن جدارة وكفاءة ، ونحن بدورنا نضع بين يديه تهنياتنا القلبية مشفوعة باطيب التحيات .

— صدر قرار وزيري بتعيين الاستاذ سردون القاضي بالمحاكم الفرنسوية مندوباً مخزنياً بالقسم العرفي الذي انشئ اخيراً بالمحكمة العليا ، وقد تقلب الم. سردون في وظائف متعددة من جملتها المحاماة الى أن سمي أخيراً بالمحاكم الفرنسوية ، وهو استاذ بالمعهد العلمي بالعاصمة وله كتب قيمة في اعراف القبائل واخرى في الفقه الاسلامي ومعرفة جيدة باللغة العربية جعلته يطالع في بحوثه الاصول من غير احتياج الى واسطة الترجمة وقد نشرنا له في ملحق من هاته المجلة محاضرة نفيسة في المصطلحات الفقهية تشتمل على نظريات سديدة في هذا الباب كان القاها بالعربية في مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في العام الماضي بفاس ولخصها عدد من الجرائد ، وقد اسند له قدماء المحاربين رئاسة لسانهم جريدة « ما بعد الحرب » مدة طويلة فاظهر في الصحافة ما أظهره في غيرها من الاعمال التي تعاطاها ، فالاستاذ سردون بمقتضى معارفه الغزيرة وتنوع الاشغال التي تعاطاها من الرجال القليلين الذين جمعوا بين تعاليم الكتب والاسفار والتجارب العلمية ولا شك في ان دخوله لادارة الامور الشريفة يؤثر كثيراً على سير هاته الادارة التي تحتاج الى امثاله من الرجال .

فنهني الاستاذ سردون بوظيفه السامي الجديد .

بمناسبة العطلة الصيفية

يصدر العدد المقبل

في شهر جمادى الاولى

الكتب و النشريات

[الطريقة الوارية ، في قراءة الحروف العربية] للاستاذ الشريف السيد عبد السلام القصري العلوي في مبادئ القراءة والتهجية ، على القاعدة العصرية ، وهو أول كتاب من شأنه بهاته الديار ، يشكر عليه المؤلف شكراً جزيلاً. (يطلب من مؤلفه بطنجة وثمن النسخة ثلاث فرنكات ونصف)

— الاعلانات الشرعية —

وزارة الاحباس

اعلان بسمسرة

في يوم الاربعاء تاريخ ٢٢ غشت ١٩٣٤ موافق ١١ جمادى الاولى عام ١٣٥٣ على الساعة العاشرة صباحاً تقع بنظارة الاحباس بوجدة سمسرة بالمزايدة لبيع قطعتين من الارض من احباس اولاد ابن مني مساحتهما تقريباً ٥٦٥٧ و ٢٦٧٩ ميتر مربع بالمدينة الجديدة بوجدة .

وتبدأ المزايدة من ١٢٠٠٠٠ فرنك .

وللاستخبار عن هاته السمسرة يخاطب ناظر الاحباس بوجدة ووزارة الاحباس وادارة المراقبة الحبسية بادارة الامور الشريفة بالرباط .

وزارة الاحباس

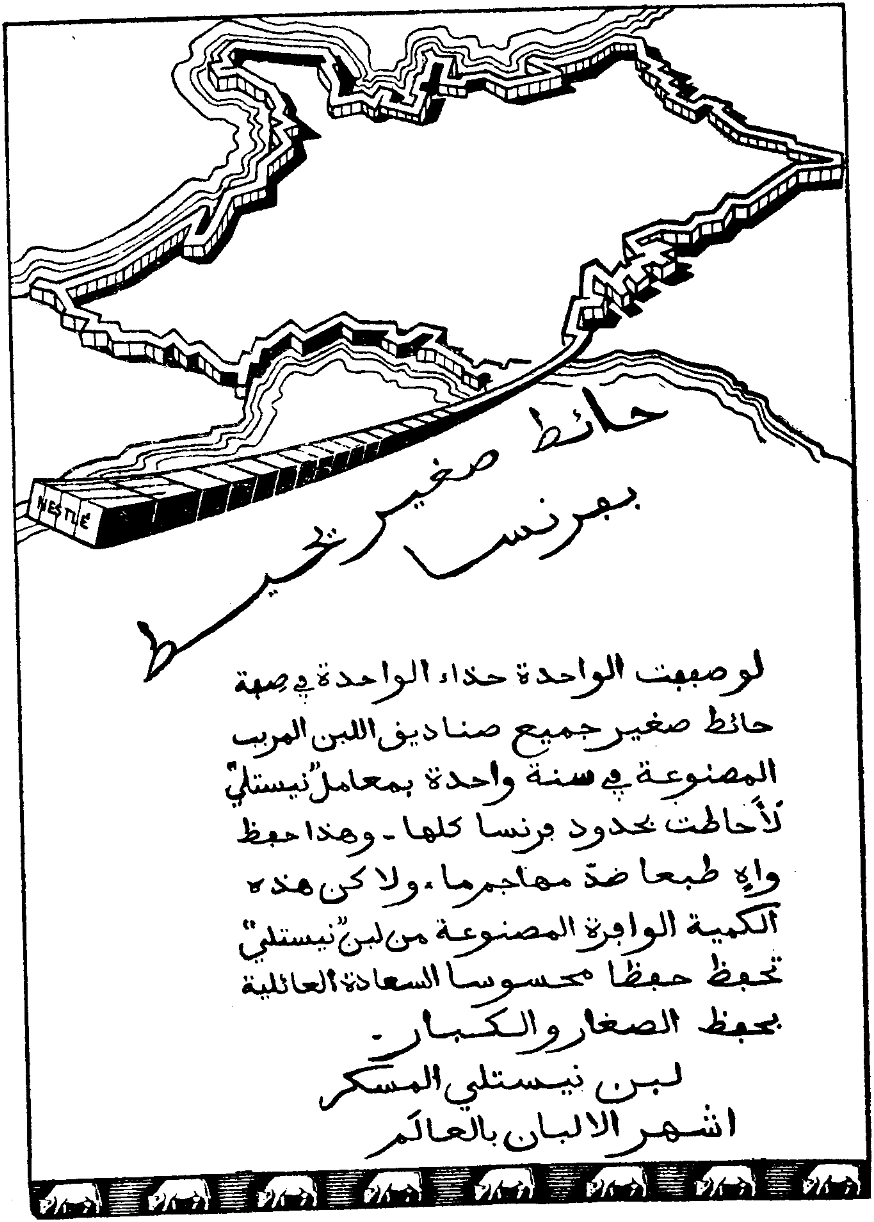
اعلان بسمسرة

في يوم الاربعاء تاريخ ٢٩ غشت ١٩٣٤ موافق ١٨ جمادى الاولى ١٣٥٣ على الساعة العاشرة صباحاً تقع بمكتب ناظر احباس الزوايا بالرباط سمسرة بالمزايدة لبيع قطعة من الارض مساحتها نحو ٤٤٥ ميتر مربع بدرب تمارة بالرباط .

وابتداء المزايدة من ١٧٨٠٠ فرنكاً .

وللاستخبار بشأن هاته السمسرة يخاطب ناظر احباس الزوايا بالرباط ووزارة الاحباس وإدارة المراقبة الحبسية بادارة الامور الشريفة بالرباط .

Imp. Nouvelle - Rue de la Mamounia - RABAT - Le Gérant : Boubker ZNEBER



حائط صغير يحيط بفرنسا
NESTLÉ
لو صففت الواحدة حذاء الواحدة في صفة
حائط صغير جميع صناديق اللبن المربب
المصنوعة في سنة واحدة بمعامل "نيستلي"
لأحاطت بحدود فرنسا كلها - وهذا حفظ
واق طبعا ضد مهاجم ما. ولاكن هذه
الكمية الوافرة المصنوعة من لبن "نيستلي"
تحفظ حفظا محسوسا السعادة العائلية
بحفظ الصغار والكبار.
لبن نيستلي المسكر
اشهر الالبان بالعالم